

سلسلة بحوث لغوية وقرآنية

(٢)

دراسة للسور التى وردت فى الحديث النبوى الشريف

«شيبتنى هود وأخواتها...» بأوجهه المختلفة

تأليف

أ. د / فاطمة محمد محجوب

أستاذ علم اللغة بكلية البنات

جامعة الأزهر سابقاً

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث - الجزيرة للنشر والتوزيع

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

ت : ٢٥١٢٠٨٤٧

رقـــم الإيداع : ٩٩٩٣/ ٢٠٠٩
الترقيم الـدولي : ٧-٢٢٣-٣١٥-٩٧٧-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.
والصلاة والسلام على رسل الله وآل كل وأصحابه الطيبين.

وبعد،،،

فإن أشرف ما يشتغل به المسلمون من مصنفين وباحثين هو دراسة القرآن الكريم، كتاب الله المنزل، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يكشفون عن أسراره، ويغوصون فى بحار علومه، يحللّون سُوَره سورةً من بعد سورة، ويستخلصون الخصائص التى تميز كل سورة منها. وسيظل هذا شأنهم جيلاً بعد جيل، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبفضل من الله تعالى تمكّنت أن أدلى بدلوى بين الدلاء فقدمت دراسات مستفيضة لعدد كبير من السور فى «الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية» وذلك بدءاً من حرف الألف إلى حرف الصاد، ويمكن للقارئ الرجوع إليها.

واليوم أواصل ما بدأت فأقدّم دراسة أوحاها إلىَّ الحديث النبوى الشريف «شيبتنى هود وأخواتها» بأوجهه المختلفة.

وكانت البداية حين وقفت على واحد منها فيما أورده الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) فى «باب ذكر اجتهاد رسول الله ﷺ، فى طاعة ربه عز وجلّ، وخوفه منه .. من كتابه «دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» حيث يقول المؤلف رحمه الله:

أخبرنا أبو الحسين بن بشران، قال: حدثنا أبو محمود علج بن أحمد، قال: حدثنا جعفر الحَصَري، وأبو جعفر: حيان القمار قالا: حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان، عن أبي إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال:

قال أبو بكر (رضي الله عنه) يا رسول الله أراك قد شبْتَ: قال شيَّبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كُوِّرت»[1]

وحدثنا الإمام أبو الطيب: سهل بن محمد بن سليمان، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مطر العدل، قال: أخبرنا العدل، قال: أخبرنا الحسن ابن أحمد بن بسطام، الزَّعفراني، قال: حدثنا محمد بن العلاء الهمزاني، قال: حدثنا معاوية بن هشام، قال: حدثنا شيبان عن فراش، عن عطية، عن أبي سعيد، قال:

قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، أسْرَعَ إليك الشيب، فقال: شيَّبتني هود وأخواتُها: الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كوِّرت (البداية ٦ / ٥٩)[2].

---

(١) المستدرك ٢ / ٣٤٣ وصححه وأقره الذهبي، ونقله ابن كثير عن البيهقي في البداية / ٥٥٩ ٦ وانظر علل الحديث لابن أبي حاتم ٢ / ٢١٠، ١٣٤.
كما ورد الحديث في «جامع الترمذي» للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ابن موسى الترمذي - بإشراف ومراجعة فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ. دار السلام. الرياض. الطبعة الأولى محرم ١٤٢٠ هـ ابريل ١٩٩٩م، الرقم (٣٢٩٧) ص ٧٤٨، ٧٤٩.

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) - بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر. الجمهورية العربية المتحدة. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء أمهات كتب السّنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠م، ١ / ٣١٣، ٣١٤.

وقد أورد الحديث بأوجهه المختلفة الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى فى كتابه «الجامع الصغير»[٣]، واستخدم الرموز التالية لرواة الحديث :

(طب) للطبرانى فى الكبير.
(ت) للترمذى.
(ك) للحاكم، فإن كان فى مستدركه أطلق وإلاّ بيّنه.
(عم) لعبد الله بن أحمد فى زوائده.

أما الحروف المرموز بها إلى الحديث الصحيح (صح) والحسن (ح) فقد وضعت فى كتاب الجامع الصغير عقب رواة الحديث.

كما أورد العلاّمة المناوى الأوجه الثمانية فى كتابه «فيض القدير شرح الجامع الصغير» وأدرجها تحت الأرقام ٤٩١١ - ٤٩١٩، ثم شرحها فى الهوامش على النحو التالى :

٤٩١١ - شَيَّبَتْنى هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا - (طب) عن عقبة بن عامر، وعن أبى جحيفة - (صح)

٤٩١٢ - شَيَّبَتْنى هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا : الوَاقعة، والحَاقَّةُ، وَ «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» (طب) عن سهل بن سعد (ح)

٤٩١٣ - شَيَّبَتْنى هُودٌ ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرسَلاَتُ، وَ«عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» وَ«إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» - (ت ك) عن ابن عباس (ك) عن أبى بكر، ابن مردويه عن سعد - (ح)

---

(٣) الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر. الطبعة الخامسة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م ٢٥/ ٤٣.

٤٩١٤ - شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا قَبْلَ الْمَشِيبِ - ابن مردويه عن أبي بكر - (ح)

٤٩١٥ - شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا مِنَ الْمُفَصَّلِ (ص) عن أنس، ابن مردويه عن عمران - (ح)

٤٩١٦ - شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا : الوَاقِعَةُ ، وَالْقَارِعَةُ، وَالْحَاقَّةُ، وَ«إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» وَ«سَأَلَ سَائِلٌ» ابن مردويه عن أنس - (ح)

٤٩١٧ - شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا، وَمَا فُعِلَ بِالأُمَمِ قَبْلِي - ابن عساكر عن محمد بن على مرسلا - (ح)

٤٩١٨ - شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا :ذِكْرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَصَصُ الأُمَمِ - (عم) فى زوائد الزهد، وأبو الشيخ فى تفسيره عن أبى عمران الجونى مرسلا - (ح)

الشرح للعلامة المناوى:

٤٩١١ - (شيبتنى هود) أى سورة هود (وأخواتها) أى وأشباهها من السور التى فيها ذكر أهوال القيامة والعذاب والهموم والأحزان إذا تقاحمت على الإنسان أسرع إليه الشيب فى غير أوان، قال المتنبى :

والهم يخترم الجسيم مخافة ويشيب ناصية الصبىّ ويهرم

قال الزمخشرى مرّ بى فى بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت القيامة والناس يُقتادون بسلاسل إلى النار[٤] فمن هول ذلك

---

(٤) قال ابن عباس ما نزل على النبى ﷺ آية كانت أشق ولا أشد من قوله تعالى ﴿فاستقم كما أمرت﴾ ولذلك قال ﷺ لأصحابه حين قالوا أسرع إليك الشيب قال شيبتنى هود.. إلخ.

أصبحت كما ترون (طب عن عقبة بن عامر وأبى جُحَيْفَة) بالتصغير وهب بن عبد الله.

٤٩١٢ - (شيبتنى هود وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت) يعنى أن اهتمامى بما فيها من أحوال القيامة والحوادث النازلة بالأمم الماضية أخذ منى مأخذه حتى شبت قبل أوان الشيب خوفا على أمتى (طب عن سهل بن سعد) قال الهيثمى فيه سعيد بن سلام العطار وهو كذاب انتهى فكان ينبغى للمصنف حذفه من الكتاب.

٤٩١٣ - (شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت) لما فيها من ذكر الأمم وما حل بهم من عاجل بأس الله فأهل اليقين إذا تلوها انكشف لهم من ملكه وسلطانه وبطشه وقهره ما تذهل منه النفوس وتشيب منه الرؤوس فلو ماتوا فزعا لحق لهم لكن الله لطف بهم لإقامة الدين (ت) فى الشمائل (ك) فى التفسير (عن ابن عباس ك) فى التفسير (عن أبى بكر) الصديق قال قلت يا رسول الله أراك قد شبت فذكره قال فى الاقتراح إسناده على شرط البخارى (ابن مردويه) فى تفسيره (عن سعد) بن أبى وقاص وفيه سفيان بن وكيع قال الذهبى ضعيف وقال الدارقطنى موضوع وقال المصنف فى الدرر بل حسن.

قالت المؤلفة الدكتورة فاطمة محمد محجوب : أورد الحديث من هذا الوجه الإمام الحافظ الترمذى فى «جامع الترمذى» (ورمزه «ت») تحت الرقم ٣٢٩٧ ص ٧٤٩، (انظر هامش رقم (١) سابقا، وعلق عليه الترمذى بقوله: (قال أبو عيسى)، وهى كنيته: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه. وروى عليّ بن

صالح هذا الحديث عن ابن إسحاق، عنى أبى جُحَيفة نحو هذا. وقد رُوى عن أبي إسحاق، عن أبى مَيْسَرة شيء من هذا مُرْسَل. (وروى أبو بكر ابن عيّاش عن أبى إسحاق، عن عِكرمة عن النبى ﷺ نحو حديث شَيْبان عن أبى إسحاق ولم يذكر فيه: عن ابن عباس، حدثنا بذلك هاشم بن الوليد الهَرَوى: حدثنا أبو بكر بن عياش). (جامع الترمذى/ ٧٤٨، ٤٧٩, انظر هامش رقم (١) سابقاً).

٤٩١٤ - (شيبتنى هود) أى سورة هود (وأخواتها) أى وما أشبهها مما فيه من أهوال القيامة وشدائدها وأحوال الأنبياء وما جرى لهم (قبل المشيب) لأن الفزع يورث الشيب قبل أوانه إذ هو يذهل النفس فتنشف رطوبة البدن وتحت كل شعرة منبع ومنه يعرق فإذا نشفت رطوبته يبست المنابع فيبس الشعر فابيض كالزرع الأخضر إذا لم يسق فإنه يبيض وإنما يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلدته فلما فزع قلب المصطفى ﷺ من ذلك الوعيد والهول نشف ماء منابته فشاب قبل الأوان (ابن مردويه) فى تفسيره (عن أبى بكر) الصديق.

٤٩١٥ - (شيبتنى هود وأخواتها من المفصل) أى وما أشبهها منه مما اشتمل على الوعيد الهائل والهول الطائل الذى يفطر الأكباد ويذيب الأجساد قال تعالى ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ وإنما شابوا من الفزع (ص عن أنس) بن مالك (ابن مردويه) فى تفسيره (عن عمران) بن الحصين.

---

(١) الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، دار الغد العربى. القاهرة ١٩٩٢ .

٤٩١٦ - (شيبتني سورة هود وأخواتها الواقعة والقارعة والحاقة وإذا الشمس كورت وسأل سائل) قال العلماء لعل ذلك لما فيهن من التخويف الفظيع والوعيد الشديد لاشتمالهن مع قصرهنّ على حكاية أهوال الآخرة وعجائبها وفظائعها وأحوال الهالكين والمعذَّبين مع مافي بعضهن من الأمر بالاستقامة كما مر وهو من أصعب المقامات وهو كمقام الشكر إذ هو صرف العبد في كل ذرة ونفس جميع ما أنعم الله به عليه من حواسه الظاهرة والباطنة إلى ما خُلق لأجله من عبادة ربه بما يليق بكل جارحة من جوارحه على الوجه الأكمل، ولهذا لما قيل للمصطفى ﷺ وقد أجهد نفسه بكثرة البكاء والخوف والضراعة أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال أفلا أكون عبداً شكورا؛ ومن العجب أن قوله تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ربما فهم منه من لم يتأمَل أن فيه وفاء عظيما وهيهات فقد شرط تعالى للمبالغة في رحمته أربع شروط: التوبة والإيمان الكامل والعمل الصالح ثم سلوك سبيل المهتدين من مراقبة الله وشهوده وإدامة الذكر والإقبال على الله بقاله وحاله ودعائه وإخلاصه (ابن مردويه) في تفسيره (عن أنس) بن مالك.

٤٩١٧ - (شيبتني هود وأخواتها) من كل سورة ذكر فيها الاستقامة (وما فعل الله بالأمم قبلي) من عاجل بأس الله الذي قطع دابرهم وإنما شيبه ذلك مع عصمته وتحقيقه أن الحق لا يمكر به لأن المقرب ولو بالغ في الاستقامة يمنعه الأدب مع الله أن يشهد في نفسه أنه وفَّى بالأمر بحيث لم يبق بعده درجة يمكن صعودها بل المقرب أولى بشدة الخوف ممن سواه لأن من خصائص حضرات القرب شدة الخوف

لكمال التجلي بالهيبة وكلما زاد القرب زاد الخوف ومن ادّعى مقام التقريب مع الإدلال على الله فما عنده خبر من التقريب (ابن عساكر) في تاريخه (عن محمد بن علي مرسلا) هو ابن الحنفية.

٤٩١٨ - (شيبتني هود وأخواتها ذكر يوم القيامة وقصص الأمم) أي ما فيها من ذكر أهوال القيامة وقصص الأمم السابقة وإهلاكهم بالمسخ والقذف والقلب وغير ذلك (عم في زوائد) كتاب (الزهد) لأبيه (وأبو الشيخ) ابن حبان (في تفسيره) للقرآن (عن أبي عمران الجوني مرسلا) بفتح الجيم وسكون الواو وبالنون عبد الملك بن حبيب ضدَ العدوّ الأزدي أو الكندي أحد علماء البصرة[٥].

وبمراجعة هذا الحديث بأوجهه المختلفة يتضح أن السور المسئولة عن شيب رسول الله ﷺ قبل الأوان هي كما يلي، مرتبة وفقا لترتيب ورودها:

(أ) هود
(ب) الواقعة
(جـ) الحاقة
(د) إذا الشمس كوِّرت (التكوير)
(هـ) المرسلات
(و) عمَّ يتساءلون (النبأ)
(ز) القارعة
(ح) سأل سائل (المعارج).

---

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي. المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م، ٤/ ١٦٨، ١٦٩.

ومن ثم فإن بحثنا هذا يركز على دراسة هذه السور، ويهدف إلى بيان الأسباب التى من أجلها خصّها رسول الله ﷺ بالذكر دون غيرها.

١ - منهج البحث:

ولتحقيق ذلك نبدأ بإيراد موجز عام عن السورة، نُتبعه بالمقصود الإجمالى منها، ثم نسوق المتن، مشفوعا بالتفسير والتعليق، وبعده يأتى شرح معانى ألفاظها.

وقد رأينا إتماما للفائدة أن نضيف فى نهاية البحث ما أحصاه ابن الوردى فى كتابه «خريدة العجائب» عن أحوال يوم القيامة، ثم قصيدته المسماة «قلادة الدر المنثور فى ذكر البعث والنشور» وهى قصيدة قال عنها إنها جامعة لغالب ما تقدم من أحوال يوم القيامة،ومن ثم جعلناها مسك الختام، والله ولى التوفيق.

١ - ١ - البحث:

(أ) سورة هود:

أدرجها الإمام الفيروزابادى تحت البصيرة رقم (١١) من بصائره وقال عنها :

هذه السّورة مكّيّة بالإجماع. وعدد آياتها مائة واثنتان وعشرون عند الشّاميّين، وإحدى وعشرون عند المكيّين والبصريّين، وثلاث وعشرون عند الكوفيّين. وكلماتها ألف وتسعمائة وإحدى عشرة كلمة .وحروفها سبعة آلاف وستمائة وخمس.

والآيات المختلف فيها سبع ﴿بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الآية ٥٤) ،

﴿فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (الآية ٧٤)، ﴿مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ (الآية ٨٢)، ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ (الآية ١٢١). ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الآية ٨٦)، ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ (الآية ١١٨).

مجموع فواصلها (ق ص د ت ل ن ظ م ط ب ر ز د) يجمعها قولك (قصدْت لنظم طبرْ زَد).

وسميت سورة هود لاشتمالها على قصّة هود - عليه السلام - وتفاصيلها.

ثم قال الإمام الفيروزابادى تحت عنوان «المقصود الإجمالى من السورة»:

المقصود الإجمالى من السورة: بيان حقيقة القرآن، واطّلاع الحقّ سبحانه على سرائر الخلق وضمائرهم، وضمانُه تعالى لأَرزاق الحيوانات، والإشارة إلى تخليق العَرْش، وابتداءِ حاله، وتفاوت أحوال الكفَّار، وأقوالهم وتحدّى النبى ﷺ العرب بالإتيان بمثل القرآن، وذمّ طُلاَّب الدنيا المُعْرِضين عن العُقْبَى، ولعن الظالمين، وطردهم، وقصة أهل الكفر والإيمان، وتفصيل قصة نوح، وذكر الطُّوفان، وحديث هود، وإهلاك عاد، وقصة صالح، وثمود، وبشارة الملائكة لإبراهيم وسارة بإسحاق، وحديث لوط، وإهلاك قومه، وذكر شُعَيْب، ومناظرة قومه إيَّاه، والإشارة إلى قصّة موسى وفرعون، وبيان أن فرعون يكون مقدّم قومه إلى جهنَّم، وذكر جميع (أحوال) القيامة، وتفصيل الفريقين والطريقين، وأمر الرسول ﷺ بالاستقامة، والتَّجنُّب من أَهل الظُّلم والضَّلال، والمحافظة على الصّلوات الخمس، والطهارة، وذكر الرحمة فى اختلاف الأمة، وبيان

القصص، وأنباء الرسل. لتثبيت قلب النبى ﷺ، والأمر بالتَّوكُّل على الله فى كل حال.[٦]

ونسوق فيما يلى متن سورة هود، مشفوعاً بتفسير آياتها، وهو ما ورد فى «المنتخب»، ثم نسوق بعد ذلك بيانا بمعانى ألفاظها.

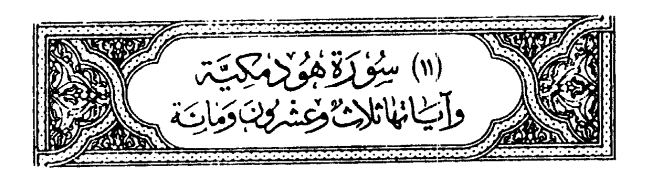
أولاً: ما ورد فى «المنتخب» ويشتمل على :

١ - المـــتن.

٢ - التفسير.

(٦) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز. تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى - تحقيق الأستاذ محمد على النجار. الجمهورية العربية المتحدة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامى. القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م، ١/ ٢٤٦، ٢٤٧.

١ - المتن:



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤) أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥) وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨) وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً

ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا

يَفْتَرُونَ (٢١) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا

تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ

الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً

فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) قَالَ يَا قَوْمِ

أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾.

٢ - التفسير:

سورة هود : هى سورة مكية تتكون من ١٢٣ آية ابتدأت بالتنويه بالقرآن الكريم ، وعبادة الله وحده ، والإنذار ، والتبشير ، ثم بيان قدرة الله وربوبيته ، وأحوال الناس فى تلقيهم لنعمه ونقمه ، ثم مقام القرآن ، والتحدى به ، وكفر الكافرين به من غير عذر فى كفرهم ، وبيان ثواب المؤمنين.

ولقد قص سبحانه بعد ذلك قصص النبيين ، ومجادلة أقوامهم لهم ، وإنزال العذاب الدنيوى بالكافرين ونجاة المؤمنين ، فذكر سبحانه وتعالى قصة نوح بتفصيل أكثر مما كان فى سورة يونس ، ففيها بيان لعقلية الكافر وعناده ، وبيان لإنزال المقت به ، ومن بعد قصة نوح ذكر سبحانه قصة عاد مع نبى الله هود ، ببيان يوضح عقلية الكفر ، وما نزل بالكافرين مع قوة بأسهم وشدتهم.

ثم ذكر بمثل ذلك من البيان قصة نبى الله صالح مع ثمود ، ثم قصة نبى الله وخليله إبراهيم ثم قصة نبى الله لوط ، ثم قصة نبى الله شعيب.

ثم ذكر سبحانه وتعالى العبر فى هذا القَصص الحق ، وختمها سبحانه بدعوة المؤمنين إلى العمل وانتظار الثواب ، ثم ذكر علم الله سبحانه وتعالى الكامل ووجوب التوكل عليه.

١ - الر . . . حروف ابتدأت بها السورة للإشارة إلى أن القرآن معجز ، مع أنه مكون من الحروف التى ينطقون بها ، وللتنبيه إلى الإصغاء عند تلاوة القرآن الكريم إلى أنه كتاب ذو شأن عظيم ، أُنزلت آياته محكمة لا باطل فيها ولا شبهة ، ونظمت بأسلوب لا خلل فيه ، واضحة

بينة، ثم فصلت أحكامها. وللكتاب مع شرفه فى ذاته شرف أنه من عند الله الذى يعلم كل شىء. ويضع الأمور فى مواضعها سبحانه.

٢ - أرشدْ به الناس، أيها النبى، وقل لهم: لا تعبدوا إلا الله، إننى مرسل منه لأنذركم بعذابه إن كفرتم، وأبشركم بثوابه إن آمنتم وأطعتم.

٣ - وتضرعوا إلى الله داعين أن يغفر لكم ذنوبكم، ثم ارجعوا إليه بإخلاص العبادة وعمل الصالحات، فيمتعكم متاعا حسنا فى الدنيا إلى أن تنتهى آجالكم المقدرة لكم فيها، ويعطى فى الآخرة كل صاحب عمل صالح فاضل ثواب عمله وفضله. وإن تنصرفوا عما أدعوكم إليه، تعرضتم للعذاب، فإنى أخاف عليكم هذا العذاب فى يوم كبير يحشر فيه الناس جميعاً ويكون فيه الهول الأكبر.

٤ - إلى الله وحده مرجعكم فى الدنيا ويوم القيامة، حين يبعثكم من قبوركم ليجازيكم على أعمالكم، وهو قادر على كل شىء، لأنه كامل القدرة لا يعجز عن شىء من الأشياء.

٥ - إن الناس يطوون صدورهم كاتمين لما يجول فيها، مجتهدين فى كتمانهم، زاعمين أن عاقبة ذلك أن تستخفى خلجات صدورهم عن الله؟ ألا فليعلم هؤلاء أنهم إن آووا إلى فراشهم لابسين لباس النوم، فاستتروا بظلام الليل والنوم وطى ما فى الصدور، فإن الله عليم بهم، فى سرهم وعلنهم، لأنه يعلم ما يصاحب الصدو ويطوى فيها.

٦ - وليعلم هؤلاء أن قدرة الله ونعمه وعلمه شاملة لكل شىء، فلا توجد دابة تتحرك فى الأرض إلا وقد تكفل الله سبحانه برزقها المناسب لها فى مختلف البيئات تفضلا منه، ويعلم مكان استقرارها فى حال

حياتها، والمكان الذى تودع فيه بعد موتها؟.. كل شىء من ذلك مسجل عنده سبحانه فى كتاب موضح لأحوال ما فيه.

٧ - والله خلق السموات والأرض وما فيهما فى ستة أيام، ومن قبل ذلك لم يكن الوجود أكثر من عالم الماء، ومن فوقه عرش الله. وقد خلق الله هذا الكون ليظهر بالاختبار أحوالكم أيها الناس، ليظهر منكم من يقبل على الله بالطاعة والأعمال الحسنة، ومن يعرض عن ذلك.. ومع هذه القدرة الخالقة إن قلت لهم مؤكدا: أنهم سيبعثون من قبورهم، وأنهم خلقوا ليموتوا ويُبعثوا، سارعوا إلى الرد عليك مؤكدين أن هذا الذى جئتهم به لا حقيقة له! وما هو إلا كالسحر الواضح الذى يلعب بالعقول.

٨ - ولئن اقتضت حكمتنا تأخير عذاب كفرهم فى الدنيا إلى وقت محدد عندنا هو يوم القيامة، ليقولون مستهزئين: ما الذى يمنعه عنا الآن؟ فليأت به إن كان صادقا فى وعيده. ألا فليعلم هؤلاء أن العذاب آت حتما، وأنه لا خلاص لهم منه حين يأتيهم، وأنه سيحيط فى الدنيا بهم بسبب استهزائهم واستهتارهم.

٩ - وأن من طبيعة الإنسان أن تستغرق نفسه الحال التى يكون عليها، فإذا أعطيناه بعض النعم رحمة منا كالصحة والسعة فى الرزق، ثم نزعنا بعد ذلك هذه النعمة لحكمة منا، أسرف فى يأسه من عودة هذه النعمة إليه، وأسرف فى كفره بالنعم الأخرى التى لا يزال يتمتع بها.

١٠ - وأننا لو أعطيناه نعمة بعد ضر لحق به، فإنه يقول: ذهب ما كان يسوءنى ولن يعود ويحمله ذلك على شدة الفرح بمتاع الدنيا،

وعلى المبالغة فى التفاخر على الغير، فينشغل قلبه عن شكر ربه، هذا هو شأن غالب بنى الإنسان: مضطرب بين اليأس والتفاخر!

١١ - ولا يخلو من هذا العيب إلا الذين صبروا عند الشدائد، وعملوا الصالحات فى السراء والضراء. هؤلاء لهم مغفرة من الذنوب وأجر كبير على أعمالهم الصالحة.

١٢ - لا تحاول أيها النبى إرضاء المشركين لأنهم لا يؤمنون، وعساك إن حاولت إرضاءهم أن تترك تلاوة بعض ما يوحى إليك مما يشق سماعه عليهم، كاحتقار بعض آلهتهم، خوفا من قبح ردهم واستهزائهم! وعسى أن تحس بالضيق وأنت تتلوه، لأنهم يطلبون أن ينزل الله عليك كنزا تنعم به كالملوك، أو يجىء معك ملك يخبرنا بصدقه! فلا تبال أيها النبى بعنادهم، فما أنت إلا منذر ومحذر من عقاب الله من يخالف أمره، وقد فعلت فأرح نفسك منهم. واعلم أن الله على كل شىء رقيب ومهيمن، وسيفعل بهم ما يستحقون.

١٣ - إن القرآن فيه الآية الدالة على صدقك فإن قالوا: إنه ألفه من عنده أو افتراه على الله! فقل لهم: إن كان هذا القرآن من عند بشر، أمكن للبشر أن يأتوا بمثله، وأنتم فصحاء البشر. فأتوا بعشر سور مثله مختلفات، واستعينوا بما يمكنكم الاستعانة به من الإنس والجن، إن كنتم صادقين فى دعواكم أنه كلام بشر!.

١٤ - فإن عجزتم، وعجز من استعنتم بهم فأتوا بمثله ولو مفترى، فاعلموا أن هذا القرآن ما أنزل إلا مقترنا بعلم الله، فلا يعلم علمه أحد، واعلموا أنه لا إله إلا الله فلا يعمل عمله أحد. فأسلموا بعد قيام هذه الحجة عليكم، إن كنتم طالبين للحق.

١٥ - من كان يطلب الحياة الدنيا، والتمتع بلذاتها وزينتها نعطهم ثمرات أعمالهم وافية لا ينقص منها شيء.

١٦ - هؤلاء الذين قصروا همهم على الدنيا، ليس لهم في الآخرة إلا عذاب النار، وبطل نفع ما صنعوه في الدنيا لأنه لم يكن للآخرة فيه نصيب، وهو في نفسه باطل أيضا، لأن العمل الذي لا يفيد السعادة الدائمة كأنه لم يكن.

١٧ - أفمن كان يسير في حياته على بصيرة وهداية من ربه، ويطلب الحق مخلصا، معه شاهد بالصدق من الله وهو القرآن، وشاهد من قبله وهو كتاب موسى الذي أنزله الله قدوة يتبع ما جاء به، ورحمة لمتبعيه، كمن يسير في حياته على ضلال وعماية، فلا يهتم إلا بمتاع الدنيا وزينتها؟! أولئك الأولون هم الذين أنار الله بصائرهم، يؤمنون بالنبي والكتاب الذي أُنزل عليه. ومن يكفر به ممن تأبوا على الحق وتحزبوا ضده، فالنار موعده يوم القيامة. فلا تكن أيها النبي في شك من هذا القرآن أنه الحق النازل من عند ربك، لا يأتيه باطل، ولكن أكثر الناس تضلهم الشهوات، فلا يؤمنون بما يجب الإيمان به.

١٨ - وليس أحد أكثر ظلما لنفسه وبعدا عن الحق من الذين يختلقون الكذب وينسبونه إلى الله. إن هؤلاء سيعرضون يوم القيامة على ربهم ليحاسبهم على ما عملوا من سوء، فيقول الأشهاد من الملائكة والأنبياء وغيرهم: هؤلاء هم الذين ارتكبوا أفظع الجرم والظلم بالنسبة لخالقهم! إن لعنة الله ستقع عليهم لأنهم ظالمون.

١٩ - هؤلاء الذين يصرفون الناس عن دين الله ويمنعونهم، وهو سبيله المستقيم، ويطلبون أن تكون هذه السبيل موافقة لشهواتهم

وأهوائهم، فتكون معوجة، وهم بالآخرة - وما فيها من ثواب المؤمن وعقاب الكافر - كافرون.

٢٠ - أولئك الكفارون، لم تكن لهم قوة تُعجز الله عن أخذهم بالعذاب فى الدنيا، ولم يكن لهم نصراء يمنعون عنهم عذابه لو شاء أن يعجل لهم العذاب وأن العذاب سيقع عليهم فى الآخرة أضعاف ما كان سيقع عليهم فى الدنيا، لو أراد الله أن يقع، لأنهم كرهوا أن يسمعوا القرآن، ويبصروا آيات الله فى الكون، كأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يسمعوا أو يبصروا.

٢١ - أولئك الكافرون لم يربحوا بعبادة الله شيئا! بل خسروا أنفسهم وغاب عنهم فى الآخرة ما كانوا يفترون من أكاذيب ودعاوَى باطلة وما كانوا يختلقون من الآلهة الباطلة ويزعمون أنهم ينفعونهم أو يشفعون لهم، فإن يوم القيامة هو يوم الحقائق التى لا زيف فيها ولا افتراء.

٢٢ - حقا، إنهم فى الآخرة أشد الناس خسرانا.

٢٣ - إن الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة، وخضعت قلوبهم واطمأنت إلى قضاء ربها، هؤلاء هم المستحقون لدخول الجنة والخلد فيها.

٢٤ - مثل الفريقين: المؤمنين والكافرين، كالأعمى الذى يسير على غير هدى، والأصم الذى لا يسمع ما يرشده إلى النجاة، وكقوى البصر الذى يرى طريق الخير والنجاة، وقوى السمع الذى يسمع كل ما ينفعه، هذان الفريقان لا يستويان فى الحال والمآل. أفلا تتفكرون أيها الناس

فيما بينكم من التباين والكفر، وفيما بين الباطل والحق من خلاف، فتبتعدوا عن طريق الضلال، وتسيروا فى الطريق المستقيم؟

٢٥ - وكما أرسلناك إلى قومك لتنذرهم وتبشرهم، فقابلك فريق منهم بالعناد والجحود، أرسلنا نوحا إلى قومه فقال لهم: إنى محذر لكم من عذاب الله، مبين لكم طريق النجاة.

٢٦ - قائلا لهم: إنى أطلب منكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنى أخاف عليكم إن عبدتم غيره أو أشركتم معه سواه فى العبادة، أن يحل عليكم يوم عذابه ذو ألم شديد.

٢٧ - قال الكبار من قومه: ما نرى إلا أنك بشر مثلنا، فليس فيك ما يجعل لك ميزة خاصة، وفضلا يحملنا على الإيمان بأنك رسول من عند الله! وما نرى الذين اتبعوك من بيننا إلا الطبقة الدنيا منا وما نرى لكم من فضل علينا. بل إنا نعتقد أنكم كاذبون فيما تزعمون.

٢٨ - قال نوح: يا قوم، أخبرونى - إن كنت مؤيدا بحجة واضحة من ربى، وأعطانى برحمته النبوة والرسالة، فحجب نورها عنكم، وعماها عليكم اغتراركم بالجاه والمال - فهل يصح أن نلزمكم بالحجة والإيمان بها مضطرين كارهين؟.

٢٩ - ويا قوم، لا أطلب منكم على تبليغ رسالة ربى مالا، وإنما أطلب جزائى من الله. وما أنا بطارد الذين آمنوا بربهم عن مجلسى ومعاشرتى، لمجرد احتقاركم لهم. لأنهم سيلاقون ربهم يوم القيامة، فيشكوننى إليه إن طردتهم لفقرهم. ولكنى أراكم قوما تجهلون ما يصح

أن يتفاضل به الخلق عند الله. أهو الغنى والجاه، كما تزعمون؟ أم اتباع الحق وعمل الخير؟

٣٠ - ويا قوم، لا أحد يستطيع منع عقاب الله عنى، إن طردتهم وهم المؤمنون به، أهل بعد هذا تصرون على جهلكم، فلا تتذكرون أن لهم ربا ينتقم لهم؟

٣١ - ولا أقول لكم، لأنى رسول، إن عندى خزائن رزق الله أتصرف فيها كما أشاء، فأجعل من يتبعنى غنيا! ولا أقول: إنى أعلم الغيب، فأخبركم بما اختص به علم الله، بحيث لا يعلمه أحد من العباد! ولا أقول: إنى ملك حتى تردوا على بقولكم: ما ذاك إلا بشر! ولا أقول عن الذين تحتقرونهم إن الله لن يؤتيهم خيرا إرضاء لرغباتكم! لأن الله وحده هو الذى يعلم ما فى أنفسهم من إخلاص!.. إنى إذا قلت لهم ما تحبونه، أكون من زمرة الظالمين لأنفسهم ولغيرهم.

٣٢ - قالوا: يا نوح قد جادلتنا لنؤمن بك فأكثرت جدالنا، حتى مللنا، ولم نعد نتحمل منك كلاما، فأتنا بهذا العذاب الذى تهددنا به، إن كنت صادقا فى أن الله يعذبنا إذا لم نؤمن بك.

٣٣ - قال نوح: هذا أمر بيد الله وحده، فهو الذى يأتيكم بما يشاء حسب حكمته، ولستم بمفلتين من عذابه إذا جاء؛ لأنه سبحانه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

٣٤ - ولا ينفعكم نصحى بمجرد إرادتى الخير لكم، إن كان الله يريد أن تضلوا لعلمه وتقديره فساد قلوبكم، حتى صارت لا تقبل حقًّا! وهو سبحانه ربكم، وسيرجعكم إليه يوم القيامة، ويجازيكم على ما كنتم تعملونه.

٣٥ - إن هذا القصص الصادق، ماذا يكون موقف المشركين منه؟ أيقولون افتراه؟ وإن قالوا ذلك، فقل أيها الرسول: إن كنتُ افتريته على الله كما تزعمون، فهو جرم عظيم، عليَّ وحدى إثمه! وإذا كنت صادقا، فأنتم المجرمون وأنا بريء من آثار جرمكم.

٣٦ - وأوحى الله إلى نوح: أنه لن يصدقك ويذعن للحق من قومك أحد بعد الآن، غير من سبق منه الإيمان قبل ذلك. فلا تحزن يا نوح بسبب ما كانوا يفعلونه معك من تكذيبك وإيذائك لأننا سننتقم منهم قريبا.

٣٧ - وقلنا له : اصنع الفلك لننجيك عليها بعنايتنا، وتحت رعايتنا. ولا تخاطبنى فى شأن هؤلاء الظالمين لأنى استجبت دعاءك، وأمرت بإهلاكهم غرقا.

٣٨ - وشرع نوح فى عمل الفلك، وكلما مر عليه قادة الكفر من قومه استهزأوا به، لجهلهم ولعدم معرفة الغرض الذى يقصده! قال نوح: إن تسخروا منا لجهلكم بصدق وعد الله، فإنا أيضا سنسخر منكم كما تسخرون منا.

٣٩ - فسوف تعلمون من منا الذى سيأتيه عذاب يذله فى الدنيا ويحل عليه فى الآخرة عذاب دائم خالد!

٤٠ - حتى إذا جاء وقت أمرنا بإهلاكهم، جاء الماء بقوة فائرا ذا رغوة، كالماء الذى يغلى فوق النار، قلنا لنوح: احمل معك فى السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانا ذكرا وأنثى، واحمل فيها أيضا أهل بيتك

جميعا، إلا من سبق عليه حكمنا بإهلاكه، واحمل فيها أيضاً مَن آمن مِن قومك، ولم يكونوا إلا عددا قليلا.

٤١ - وقال نوح للذين آمنوا من قومه، بعد أن أعد الفلك: اركبوا فيها متيمنين بذكر اسم الله تعالى، وقت إجرائها وفي وقت رسوها، وعند النزول فيها والخروج منها، وأرجو مغفرة الله على ما فرط منكم ورحمته بكم، فإن المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى.

٤٢ - ونزلوا في السفينة، فصارت تجرى بهم سائرة في موج يعلو ويرتفع، حتى يصير كالجبال في علوها، وفي ابتداء سيرها تذكر نوح ابنه بعاطفة الأبوة، وقد كان في معزل عن دعوة أبيه فناداه: اركب معنا يا بني ولا تكن مع الجاحدين بدين الله تعالى!

٤٣ - لم يطع الولد أباه الشفيق! وقال: سأتخذ مأوى لي مكانا يمنعني من الماء! فقال الأب العالم بقضاء الله في شأن العصاة: يا بني لا يوجد ما يمنع من حكم الله تعالى بالإغراق للظالمين! وغاب الولد عن أبيه الناصح بالموج المرتفع فكأن مع المغرقين الهالكين الجاحدين.

٤٤ - وبعد أن هلك الجاحدون بالإغراق، جاء أمر الله التكويني، فقيل بحكم التكوين: ابلعي ماءك أيتها الأرض، وامتنعي عن إنزال الماء أيتها السماء فذهب الماء من الأرض، ولم تمد بشيء من السماء، وانتهى حكم الله بالإهلاك واستوت الفلك ووقفت عند الجبل المسمى بالجودي وقضى الله بإبعاد الظالمين عن رحمته، فقيل: هلاك للقوم الظالمين بسبب ظلمهم.

٤٥ - ثارت الشفقة في قلب نوح على ابنه، فنادى ربه ضارعا

مشفقا فقال : يا خالقي ومنشئي، إن ابني قطعة مني، وهو من أهلي، وقد وعدتَ إن تنجيَ أهلي، وأن وعدك حق ثابت واقع، وأنت أعدل الحاكمين، لأنك أعلمهم، ولأنك أكثر حكمة من كل ذوي الحكم.

٤٦ - قال الله سبحانه : إن ابنك ليس من أهلك، إذ أنه بكفره وسيره مع الكافرين قد انقطعت الولاية بينك وبينه، وقد عمل أعمالا غير صالحة، فلم يصر منك، فلا تطلب ما لا تعلم : أهو صواب أم خطأ ؟ ولا تسر وراء شفقتك وإني أرشدك إلى الحق لكيلا تكون من الجاهلين الذين تنسيهم الشفقة الحقائق الثابتة !

٤٧ - قال نوح : يا خالقي ومتولي أمري ألجأ إليك فلا أسألك من بعد ما لا أعلم الحق فيه، واغفر لي ما قلته بدافع شفقتي، وإن لم تتفضل عليَّ بمغفرتك، وترحمني برحمتك، كنت في عداد الخاسرين.

٤٨ - قيل بلسان الوحي : يا نوح، انزل على الأرض من سفينة النجاة سالما آمنا، بسلام من الله تعالى وأمن منه، وبركات من الله عليك وعلى الذين معك، الذين سيكونون أمما مختلفة من بعدك، وسينال بركة الإيمان والإذعان بعضهم، وبعضهم سيكونون أمما يستمتعون بالدنيا وينالون متعها غير مذعنين للحق، ثم يصيبهم يوم القيامة عذاب مؤلم شديد.

٤٩ - تلك القصة التي قصصناها عليك أيها النبي عن نوح وقومه، من أخبار الغيب التي لا يعلمها إلا الله، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على هذا الوجه من الدقة والتفصيل من قبل هذا الوحي، فاصبر على إيذاء قومك كما صبر الأنبياء قبلك، فإن عاقبتك الفوز

مثل عاقبتهم، والعاقبة الطيبة دائما للذين يتقون عذاب الله بالإيمان وعمل الصالحات.

٥٠ - ولقد أرسلنا إلى قوم عاد الأولى أخا لهم من قبيلتهم هو (هود) فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، إذ ليس لكم من يستحق العبادة غيره: وما أنتم إلا كاذبون فى ادعائكم أن لله شركاء فى استحقاقهم للعبادة ليكونوا شفعاء لكم عند الله.

٥١ - يا قوم، لا أطلب منكم على النصح مكافأة من جاه أو سلطان أو مال وإنما أجرى على الله الذى خلقنى، ولا يصح أن تستولى عليكم الغفلة فلا تعقلوا ما ينفعكم وما يضركم!

٥٢ - ويا قوم، اطلبوا من خالقكم أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم، ثم ارجعوا إليه. إنكم إن فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم كثيرا متتابعا، فتكثر خيراتكم، ويزدكم قوة إلى قوتكم التى تغترون بها! ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه، مصممين على الإجرام الذى يرديكم فى الهلاك.

٥٣ - قالوا: يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه، وما نحن بتاركى عبادة آلهتنا لمجرد قولك، أنتركها، وما نحن لك بمصدقين.

٥٤ - ما نقول فى موقفك منا إلا أن بعض آلهتنا مسّك بشر، فصرت تهذى بهذا الكلام، قال مصرا على إيمانه متحديا: أقول، وأُشهد الله على ما أقول، وأشهدكم عليه، وإنى برىء من داء الشرك الذى أنتم فيه، فأنتم المرضى.

٥٥ - ولا أبالى بكم ولا بآلهتكم التى تدعون أنها مستنى بسوء، فتعاونوا أنتم وآلهتكم على الكيد لى، ثم لا تؤخروا عقابى لحظة إن استطعتم.

٥٦ - إننى اعتمدت على الله، وهو مالك أمرى وأمركم، لا يعجزه شىء عن رد كيدكم وهو القادر على كل شىء فما من دابة إلا وهو مالك أمرها ومتصرف فيها، فلا يعجزه حفظى من أذاكم، ولا إهلاككم، إن أفعال ربى تجرى على طريق الحق والعدل فى ملكه، فينصر المؤمنين المصلحين، ويخذل الكافرين المفسدين.

٥٧ - فإن تعرضوا عن دعوتى لم يضرنى إعراضكم، والعاقبة السيئة عليكم، فقد أبلغتكم ما أرسلنى الله به إليكم، وليس عليَّ إلا البلاغ، والله يهلككم ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم، وأنتم لا تضرونه بإعراضكم عن عبادته. إن ربى مهيمن على كل شىء، مطلع عليه، فما تخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مؤاخذتكم.

٥٨ - ولما جاء أمرنا بإهلاك عاد نجينا هودا، والذين آمنوا معه، من عذاب الريح العاتية التى أهلكتهم، ونجيناهم من عذاب شديد كبير فى الدنيا والآخرة، وذلك بسبب رحمتنا لهم بتوفيقهم للإيمان.

٥٩ - تلك عاد أنكروا الحجج الواضحة، وعصوا رسل الله جميعا، بعصيانهم رسوله إليهم، وطاعتهم لأمر كل طاغية شديد العناد من رؤسائهم وكبرائهم.

٦٠ - فاستحقوا من الله والملائكة والناس أجمعين لعنة تلحقهم

في الدنيا ولعنة تتبعهم يوم القيامة، ألا فلينتبه كل من علم خبر عاد. أن عادا جحدوا نعمة خالقهم عليهم، ولم يشكروها بالإيمان به وحده فأصبحوا جديرين بطردهم من رحمة الله وإنزال الهلاك الشديد بهم، ألا فهلاكا لهم لتكذيبهم هودا.

٦١ - وقد أرسلنا إلى ثمود واحدا منهم تربطه بهم صلة النسب والمودة، وهو صالح، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من يستحق العبادة غيره، هو خلقكم من الأرض ومكنكم من عمارتها واستثمار ما فيها والانتفاع بخيرها... فادعوه أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم، ثم ارجعوا إليه بالندم على معصيته والإقبال على طاعته، كلما وقعتم في ذنب، إن ربي قريب الرحمة مجيب الدعاء لمن يستغفره ويدعوه.

٦٢ - قالوا: يا صالح قد كنت بيننا موضع الرجاء والمحبة والتقدير من نفوسنا، قبل هذا الذى تدعونا إليه، أتطلب منا أن نترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وما ألفناه وألفوه؟ إنا لفى شك من دعوتك إلى عبادة الله وحده، فهذا مثير للريب وسوء الظن فيك وفيما تدعو إليه.

٦٣ - قال: يا قوم، خبرونى إن كنت على بصيرة نيرة وبينة مما أدعوكم إليه مؤيدا بحجة من ربى، وأعطانى ربى رحمة لى ولكم، وهى النبوة والرسالة، فكيف أخالف أمره وأعصيه بعدم تبليغ رسالته، استجابة لكم؟ ومن ينصرنى ويعيننى على دفع عذابه إن عصيته؟ إنكم لا تستطيعون نصرتى ودفع عذابه عنى، فما تزيدوننى غير الضياع والوقوع فى الخسران إن أطعتكم وعصيت ربى وربكم.

٦٤ - ويا قوم، هذه ناقة الله جعلها لكم علامة تشهد على صدقي فيما أبلغه لكم، لأنها على غير ما تألفون من أمثالها، فاتركوها تأكل في أرض الله لأنها ناقته، والأرض أرضه، ولا تنالوها بسوء يؤذيها، فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب.

٦٥ - فلم يسمعوا نصحه، ولم يستجيبوا له، وبلغ بهم الكبرياء والاستهانة بتهديده أن قتلوا الناقة، فقال لهم: تمتعوا بحياتكم في داركم ثلاثة أيام، ثم يأتيكم بعدها عذاب الله، ذلك وعده الحق الذى لا يتخلف، ولا يقع عليه تكذيب.

٦٦ - فلما جاء عذابنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة خاصة منا، ونجيناهم من مهانة وفضيحة يوم هلاك ثمود. إن ربك أيها النبى هو القوى الغالب، فاطمئن إلى قوته وعزته وعونه ونصره.

٦٧ - وأخذت الصيحة ثمود بعنفها ورجفتها وصاعقتها، لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والعدوان فأصبحوا في ديارهم هامدين، راقدين على وجوههم، ميتين لا حراك بهم.

٦٨ - وانتهى أمرهم، وزالت آثارهم من ديارهم، كأنهم لم يقيموا فيها ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل، ويعلم أن ثمود جحدوا بآيات من خلقهم، وبسبب ذلك كان الهلاك والبعد عن رحمة الله.

٦٩ - ولقد أرسلنا الملائكة إلى إبراهيم ببشارته هو وزوجته بمولود. قالوا يحيونه سلاما: قال يرد تحيتهم: سلام. وأسرع فلم يمكث أن حضر إليهم بعجل مشوى سمين ليأكلوا منه.

٧٠ - فلما رأى أيديهم لا تبلغه ولا تمتد إليه، كما هو معروف عن الضيوف أنكر أنهم ضيوف، وأحس أنهم ملائكة، وأضمر الخوف أن يكون مجيئهم لأمر أنكره الله عليه، أو لتعذيب قومه. قالوا وقد عرفوا أثر الخوف فى نفسه، لا تخف إنا أرسلنا لهلاك قوم لوط.

٧١ - وكانت امرأته قائمة تسمع كلامهم فى مكان قريب منهم، فضحكت لسرورها لنجاة لوط ابن أخي زوجها، فبشرناها على ألسنة الملائكة بأنها ستلد من إبراهيم زوجها ولدا يسمى إسحاق، وسيعيش ولدها، وسيكون لها منه بعد إسحاق يعقوب.

٧٢ - صاحت متعجبة وقالت، يا عجبا! أألد وأنا عجوز، وهذا زوجي ترونه شيخا كبيرا ولا يولد لمثله؟ إن هذا الذى أسمعه والله شيء عجيب. إذ كيف يولد لهرمين مثلى ومثل زوجى؟.

٧٣ - قالت الملائكة لها: أتعجبين من أن يولد لكما على كبركما، وهو من أمر الله الذى لا يعجزه شيء؟ تلك رحمة الله ونعمه الكثيرة عليكم، أهل بيت النبوة، فليس بعجيب أن يهب لكم ما لا يهب لغيركم، إنه فاعل ما يستوجب الحمد، عظيم كثير الإحسان والكرم والعطاء.

٧٤ - فلما ذهب عن إبراهيم الخوف وسمع البشارة السارة بالولد، أخذه الإشفاق، وأخذ يجادل رسلنا فى هلاك قوم لوط.

٧٥ - إن إبراهيم لكثير الحلم، لا يحب تعجيل العقاب، كثير التأوه والتوجع من السوء الذى يصيب غيره. تائب راجع إلى الله بما يحبه ويرضاه، فرقته ورحمته ورأفته حملته على المجادلة رجاء أن يرفع الله عذابه عن قوم لوط وأن يتوبوا وينيبوا إليه.

٧٦ - قالت الملائكة : يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال والتماس الرحمة لهؤلاء القوم ، إنه قد جاء أمر ربك بهلاكهم ، وأنهم لابد آتيهم عذاب نافذ غير مردود بجدل أو غير جدل .

٧٧ - ولما جاءت الملائكة رسلنا إلى لوط فى صورة شبان حسان ، تألم واستاء ، وأحس بضعفه عن حمايتهم ، وضيقه بهم ، لخوفه عليهم من فساد قومه ، وقال : هذا يوم شديد المكاره والآلام .

٧٨ - وعلم قومه بهم ، فجاءوا مسرعين إليه ، ومن قبل ذلك كانوا يرتكبون الفواحش ، ويقترفون السيئات ، قال لهم لوط (يا قوم هؤلاء بناتى ، تزوجوا بهن ، فذلك أطهر لكم من ارتكاب الفواحش مع الذكور ، فخافوا الله وصونوا أنفسكم من عقابه ، ولا تفضحونى وتهينونى بالاعتداء على ضيفى ، أليس فيكم رجل سديد الرأى ، رشيد العقل ، يردكم عن الغى ويكفكم عن السوء !

٧٩ - قالوا : لقد علمت يا لوط أنه ليس لنا فى بناتك أى حق فى نكاحهن أو رغبة فيهن ، إنك دون شك تعلم ما نريد من مجيئنا وإسراعنا إليك .

٨٠ - قال لوط : لو أن لى قوة أو ركناً قويًّا اعتمدت عليه ، لكان موقفى منكم غير هذا ، ولدفعتكم عن ضيفى ومنعتكم من السيئات .

٨١ - قالت الملائكة ، وقد ظهرت على حقيقتها : يا لوط ، لا تخف ولا تحزن إنا رسل ربك ، لا بشر كما بدا لك ، ولقومك ، ولن يصل هؤلاء إليك بشر يسوءك أو ضر يصيبك ، فسر أنت وأهلك فى بعض أوقات الليل ، إذا دخل جزء كبير منه ، واخرج بهم من هذه القرية ، ولا يلتفت

أحد منكم خلفه، لكيلا يرى هول العذاب فيصاب بشر منه، لكن امرأتك التى خانتك(*) فلا تكن من الخارجين معك، أنه لابد مصيبها ما قدر أن يصيب هؤلاء.. إن موعد هلاكهم الصبح، وهو موعد قريب، فلا تخف.

٨٢ - فلما جاء وقت العذاب الذى قدرناه وقضينا به، جعلنا عالى القرية التى كان يعيش فيها قوم لوط سافلها، فقلبناها، وأمطرنا عليهم فى أثناء ذلك حجارة من طين حمى بالنار حتى تحجر.

٨٣ - كانت تقع عليهم متتابعة منتظمة معلنة العذاب من عند ربك، أيها النبى، وليست بعيدة عن الظالمين من قومك.

٨٤ - ولقد أرسلنا إلى قوم مدين أخاهم فى النسب والمودة والتراحم شعيباً، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من يستحق العبادة غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان حين تبيعون لغيركم ما يكال ويوزن، إنى أراكم يرجى منكم الخير، بالشكر والطاعة لله، وإعطاء الناس حقوقهم كاملة، وإنى أخاف عليكم إذا لم تشكروا خيره وتطيعوا أمره، أن يحل بكم عذاب يوم لا تستطيعون أن تفلتوا من أهواله، لأنها تحيط بالمعذَّبين فيها فلا يجدون سبيلاً إلى الخلاص منها.

٨٥ - ويا قوم أدوا المكيل والموزون مما تبيعونه وافيا على وجه العدل والتسوية، ولا تنقصوا الناس حقهم فى أشيائهم، ولا تجوروا وتفسدوا فى الأرض بسرقة أموالهم أو الإغارة عليهم أو قطع الطريق على العابرين منهم، تتخذون الفساد وسيلة للكسب الحرام.

(*) خانته فى الدين لا فى الشرف.

(هاتان الآيتان نص على اعتبار نقص المكيال والميزان جريمة وهذا يقتضى أنها معاقب عليها شرعا والعقاب بالتعزير ويقابل هذا فى التشريعات الوضعية ما يسمى جريمة تزوير المكيال أو الميزان التى حدد القانون الوضعى عقوبة لها وهذا من القرآن الكريم وسيلة من وسائل حماية المال. وأرض مدين واقعة بين شمال الحجاز وجنوب الشام. وكان فيها مكان كثيف الأشجار يسمى الأيكة وقد أرسل الله عليهم عقابا شديدا بسبب عصيانهم).

٨٦ - ما يبقى لكم من المال الحلال الذى تفضل به الله عليكم خير لكم من المال الذى تجمعونه من حرام، إن كنتم تؤمنون بالله وتجتنبون ما حرمه عليكم فحاسبوا أنفسكم، وراقبوا ربكم، لست عليكم رقيباً أحصى أعمالكم وأحاسبكم عليها.

٨٧ - قالوا ساخرين مستهزئين: يا شعيب، أصلاتك هى التى تأمرك أن تحملنا على ترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام، وعلى أن نمتنع عن التصرف فى أموالنا كما نريد مما نرى فيه مصلحتنا، إن ذلك غاية السفه والطيش. ولا يتفق مع ما نعرفه عنك من العقل وسداد الرأى، فأنت المعروف بكثرة الحلم والرشد.

٨٨ - قال : يا قوم: أخبرونى إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربى، ورزقنى رزقاً حسناً تفضلاً منه، أيصح لى أن أكتم ما أمرنى بتبليغه لكم، من ترك عبادة الأصنام، وطلب إيفاء الكيل والميزان، وترك الفساد فى الأرض؟ وأنا لا أريد أن أتجه إلى فعل ما أنهاكم عنه من ذلك، ما أريد بموعظتى ونصيحتى وأمرى ونهيى إلا الإصلاح قدر طاقتى وجهدى واستطاعتى، وما كنت موفقاً لإصابة الحق إلا بمعونة الله وتأييده وتسديده، عليه وحده أعتمد، وإليه وحده أرجع.

٨٩ - ويا قوم لا يحملنكم الخلاف بيني وبينكم على العناد والإصرار على الكفر فيصيبكم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما عهد قوم لوط ومكانهم وهلاكهم ببعيد عنكم، فاعتبروا بهم حتى لا يصيبكم ما أصابهم.

٩٠ - واطلبوا من الله أن يغفر لكم ذنوبكم ثم ارجعوا إليه نادمين مستغفرين كلما وقع الذنب منكم، إن ربي كثير الرحمة محب ودود يغفر للتائبين ويحب الأوابين.

٩١ - قالوا: يا شعيب ما نعقل كثيراً مما تقوله لنا، ونؤكد لك أننا نراك بيننا ضعيفاً لا قدرة لك على الدفاع، وعلى الإقناع، إن أردنا بك ما تكره، ولولا مجاملتنا لعشيرتك، لأنها على ديننا، لقتلناك رجماً بالحجارة، وما أنت علينا بعزيز حتى نجلك ونحترمك ونكرمك ونصونك عن القتل بالرجم، وإنما هي المجاملة لعشيرتك تمنعنا عن قتلك.

٩٢ - قال: يا قوم، أعشيرتي أحق بالمجاملة من الله، فذكرتموها ونسيتموه وجاملتموني واتخذتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر؟ إن ربي محيط علمه بكل ما تعملون، فلا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيحاسبكم عليها وإن نسيتموه.

٩٣ - ويا قوم اعملوا على ما أنتم قادرون عليه وما تستطيعون عمله، إن لم تسمعوا نصحي أني مثابر على العمل بما يخالف عملكم، وسوف تعلمون من منا الذي يأتيه عذاب يفضحه ويذله، ومن منا الذي هو كاذب: أأنا الذي أنذركم بالعذاب، أم أنتم الذين أنذرتموني بالإخراج من القرية؟ وانظروا ما سيحصل: إني معكم منتظر.

٩٤ - ولما وقع أمرنا بعذابهم وهلاكهم، نجينا شعيباً والذين آمنوا معه من العذاب والهلاك، وكانت نجاتهم بسبب رحمة منا لهم، وأخذت الظالمين من أهل مدين الصيحة، والرجفة المهلكة، فأصبحوا فى ديارهم هامدين، راقدين على وجوههم: لا حراك بهم (انظر التعليق العلمى على الآيتين ٨٤، ٨٥ من هذه السورة).

٩٥ - وانتهى أمرهم وزالت آثارهم، كأنهم لم يقيموا فى ديارهم، ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل، ألا هلاكاً لمدين، وبعداً من رحمة الله كما بعدت ثمود من قبلهم (انظر التعليق العلمى على الآيتين ٨٤، ٨٥ من هذه السورة).

٩٦ - ولقد أرسلنا موسى مؤيَّداً بمعجزاتنا الدالة على صدقه وبالبرهان المبين ذى السلطان القاهر على النفوس.

٩٧ - أرسلناه إلى فرعون وكبار رجاله، فكفر به فرعون وأمر قومه أن يتبعوه فى الكفر، فاتبعوا أمر فرعون، وخالفوا أمر موسى، وما أمر فرعون بسديد حسن النتائج حتى يستحق أن يُتبع.

٩٨ - يتقدم قومه يوم القيامة ويقودهم كما قادهم فى الدنيا، فيوردهم النار حتماً، يصلونها ويتجرعون غصص عذابها، وقبح هذا المورد الذى يشربون منه ماء حميماً ليطفئ ظمأهم فيقطع أمعاءهم.

٩٩ - وهم فى هذه الدنيا قد تبعتهم لعنة من الله والملائكة والناس، ويوم القيامة تتبعهم كذلك اللعنة، لأنها عطاؤهم، وأنه لعطاء قبيح يثير الشعور بالذنب، ويقال فيه: بئس هذا العطاء المعطَى لهؤلاء.

١٠٠ - ذلك القصص أيها النبى هو بعض أخبار القرى التى أهلكناها، نقصها عليك لتعظ بها قومك، وتطمئن إلى نصر الله لك، بعض هذه القرى كالزرع القائم على ساقه، ليشهدوا بما حصل، وبعضها عافى الأثر، كالزرع الذى حَصد.

١٠١ - وما ظلمناهم بإهلاكهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر وعبادة غير الله والفساد فى الأرض، فما استطاعت أن ترد عنهم الهلاك آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله، ولا نفعتهم بشىء لما جاء أمر ربك أيها النبى، وما زادهم إصرارهم على عبادة الأوثان، إلا الهلاك والضياع.

١٠٢ - ومثل هذا الأخذ الشديد، الذى أخذ به ربك أيها النبى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، أخذه الشديد إذا شاء أن يأخذ القرى وأهلها ظالمون بالكفر والفساد، إن أخذه قوى مؤلم شديد على الظالمين.

١٠٣ - إن فى ذلك القصص لموعظة يعتبر بها من أيقن بالبعث وخاف عذاب يوم الآخرة، ذلك يوم مجموع للحساب فيه الناس، وذلك يوم مشهود يراه الملائكة والناس.

١٠٤ - وما نؤخره إلا بمدة قليلة حددناها، ومهما طالت فى نظر الناس فهى قليلة عند الله.

١٠٥ - يوم يأتى هوله لا يستطيع إنسان أن يتكلم إلا بإذن الله، فمن الناس شقى بما يعانى من ألوان الشدة، وهو الكافر، ومنهم سعيد بما ينتظره من نعيم الآخرة، وهو المؤمن.

١٠٦ - فأما الذين شقوا ففى النار مآلهم، لهم فيها تنفس مصحوب بآلام مزعجة، عند خروج الهواء من صدورهم، وعند دخوله فيها.

١٠٧ - خالدين فى النار ما دامت السموات والأرض، لا يخرجون منها إلا فى الوقت الذى يشاء الله إخراجهم فيه، ليعذبهم بنوع آخر من العذاب، وأن ربك أيها النبى فعال لما يريد فعله، لا يمنعه أحد عنه.

١٠٨ - وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها من أول لحظة، بعد انتهاء موقف الحساب إلى ما لا نهاية، إلا الفريق الذى يشاء الله تأخيره عن دخول الجنة مع السابقين، وهم عصاة المؤمنين، الذين يتأخرون فى النار بمقدار توقيع الجزاء عليهم، ثم يخرجون منها إلى الجنة، ويعطى ربك هؤلاء السعداء فى الجنة عطاء عظيماً مستديماً، غير منقوص ولا مقطوع.

١٠٩ - وإذا كان أمر الأمم المشركة الظالمة فى الدنيا ثم فى الآخرة، هو ما قصصنا عليك أيها النبى، فلا يكن عندك أدنى شك فى مصير عباد الأوثان من قومك، ان استمروا على ضلالهم، لأنهم كالسابقين من آبائهم، الذى قصصنا عليك قصصهم من قبل، كلهم مشركون وإنا لموفون هؤلاء الكفرة استحقاقهم من العذاب كاملا على قدر جرائمهم، لا ينقصون منه شيئاً.

١١٠ - ونؤكد لك أيها النبى أننا أعطينا موسى التوراة، فاختلف قومه من بعده فى تفسيرها ومعناها، حسب أهوائهم وشهواتهم، كل يريد إخضاعها لشهواته، فتفرقوا شيعاً، وابتعد الكثير منهم عن الحق الذى جاءتهم به، ولولا وعد الله سابق بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة، لحل بهم فى دنياهم قضاء الله وحكمه بإهلاك المبطلين ونجاة المحقين، كما

حل بغيرهم من الأمم التي جاءتهم بها، بعد اختلاف أسلافهم فى فهمها، وتحريفهم لها، مما جعل إدراك الحقائق منها أمراً عسيراً. وأن هؤلاء الذين ورثوا التوراة لفى حيرة وبعد عن الحقيقة.

١١١ - إن كل فريق من هؤلاء سيوفيهم ربك حتما جزاء أعمالهم، إنه سبحانه خبير بهم محيط بدقائق ما يعملون من خير أو شر، ويجازى كلاً منهم حسب عمله.

١١٢ - وإذا كان هذا هو حال الأمم التى جاءها كتاب من الله فاختلف فيه وخرجت عليه، فداوم أنت ومن معك من المؤمنين على التزام الطريق المستقيم كما أمرك الله، ولا تجاوزوا حدود الاعتدال بتقصير أو إهمال أو مغالاة فى تكليف أنفسكم ما لا تطيقون، إنه سبحانه محيط علمه بكل ما تعملون فيجازيكم عليه.

١١٣ - ولا تميلوا أدنى ميل إلى أعداء الله وأعدائكم الذين ظلموا أنفسهم وتجاوزوا حدود الله، ولا تعولوا عليهم أو تستحسنوا طريقهم، فتستحقوا بسبب هذا الميل عذاب النار، ولا تجدوا أحداً يدفعه عنكم، ثم تكون عاقبتكم أنكم لا تنصرون على أعدائكم بخذلان الله لكم، ولركونكم إلى عدوه.

١١٤ - وأد الصلاة أيها النبى على أتم وجه فى طرفى النهار، وفى أوقات متفرقة من الليل، فإنها تطهر النفوس فتتغلب على نزعة الشر، وتمحو آثار السيئات التى قلما يخلو منها البشر، ذلك الذى أمرت به أيها النبى من الإرشاد للخير عظة ينتفع بها المستعدون لقبولها، الذين يذكرون ربهم ولا ينسونه.

١١٥ - واصبر أيها النبى على مشاق ما أمرناك به، وأحسن تنفيذه، يعطك الله أجراً عظيماً، لأنه لا يضيع عنده أجر المحسنين لأعمالهم.

١١٦ - كان يجب أن يكون من تلك الأمم السابقة، التى أهلكناهم بسبب ظلمها، جماعة منهم لهم كلمة مسموعة وفضل من دين وعقل، ينهون غيرهم عن الفساد فى الأرض، فيحفظوهم من العذاب الذى حل بهم، ولن يكون هذا، لكن الذى حدث أنه كان فيهم قليل من المؤمنين لم يُسمع لهم رأى ولا توجيه، فأنجاهم الله مع رسلهم، فى الوقت الذى أصر فيه الظالمون المعاندون على ما تعودوه من قبل من حياة الترف والفساد، فحال ذلك بينهم وبين الانتفاع بدعوة الحق والخير، وكانوا فى إيثارهم لهذه الطريق غارقين فى الذنوب والسيئات، فأهلكهم الله تنفيذاً لسنته فى خلقه.

١١٧ - وما كان من سنة الله، ولا من عدله فى خلقه، أن يظلم أمة من الأمم فيهلكها وهى متمسكة بالحق، ملتزمة للفضائل، عاملة على ما يصلح أمرها وأمر غيرها.

١١٨ - ولو شاء ربك أيها النبى لجعل الناس على دين واحد، مطيعين الله بطبيعة خلقتهم، كالملائكة، ولكان العالم غير هذا العالم، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، بل تركهم مختارين، فلا يزالون مختلفين فى كل شىء، حتى فى أصول العقائد، كالإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، مما لا يجوز الخلاف فيه، تبعاً لميولهم وشهواتهم وتفكيرهم، يتعصب كل فريق لرأيه وما وجد عليه آباءه.

١١٩ - لكن الذين رحمهم الله لسلامة فطرتهم، فإنهم اتفقوا على

حكم الله فيهم، فآمنوا بجميع رسله وكتبه واليوم الآخر. ولهذه المشيئة التى اقتضتها حكمته تعالى فى نظام هذا العالم، خلقهم الله سبحانه مستعدين لهذا الثواب والعقاب. وبهذا يتحقق وعد ربك بأنه لا بد من أن يملأ جهنم من أتباع إبليس من الجن والناس.

١٢٠ - ونقص عليك أيها النبى من كل نوع من أخبار الرسل السابقة مع أممهم ما نقوى به قلبك على القيام بمشاق الرسالة، وقد جاءك فى هذه الأنباء بيان الحق الذى تدعو إليه، مثلما دعا إليه السابقون من الرسل، من توحيد الله والبعد عما يغضبه، كما جاءك فيها ما فيه عظة وعبرة ينتفع بها المؤمنون، فيزدادون إيماناً، والمستعدون للإيمان فيسارعون إليه.

١٢١ - وقل أيها النبى للذين يصرون على العناد والكفر، ابذلوا أقصى ما فى قدرتكم من محاربة الإسلام وإيذاء المؤمنين به، فإننا ماضون فى طريقنا ثابتون على عملنا.

١٢٢ - وانظروا ما تترقبونه لنا، إننا كذلك منتظرون وعد الله لنا بنجاح الدعوة والانتصار على أعدائها.

١٢٣ - ولله وحده علم كل غيب فى السموات والأرض، فيعلم ما سيحل بكم، وما يكون لنا، وإليه وحده يرجع تصريف كل أمر من الأمور، وإذا كان الأمر كذلك، فاعبد ربك وحده، وتوكل عليه، ولا تخش أحداً سواه، وما ربك بغافل عما تعملون جميعاً أيها المؤمنون والكافرون، وسيجازى كلاً بما يستحقه فى الدنيا والآخرة.(٧)

---

(٧) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم. جمهورية مصر العربية. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة التاسعة عشرة. القاهرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م/ ٣٠٦ - ٣٢٩ .

ثانياً : معاني ألفاظ سورة هود :

وردت في كتاب «كلمات القرآن» لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف على النحو التالي :

(١١) سورة هود - مكية (آياتها ١٢٣)

الآية	الكلمة	التفسير
١	أُحْكِمَتْ آياتُهُ	نُظِمَتْ نَظْماً مُحْكَماً رَصيناً
١	فُصِّلَتْ	فُرِّقَتْ في التَّنْزِيلِ نُجُوماً بالْحِكْمَة
٥	يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ	يَطْوونَها عَلَى الكُفْرِ والعَداوَةِ
٥	لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ	من الله تعالى جَهْلاً مِنْهُمْ
٥	يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ	يَتَغَطُّونَ بها مُبالَغَةً في الاستخفاء
٥	يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا	موضعَ اسْتِقْرارِهَا في الأصلابِ، أو في الأرْحام ونحوهَا
٥	مُسْتَوْدَعَهَا	موضعَ استيداعِها في الأرْحَام ونحوهَا، أو في الأصلاب
٧	لِيَبْلُوَكُمْ	لِيَخْتَبِرَكم وهو أعلمُ بأمْرِكُمْ
٧	أَحْسَنُ عَمَلاً	أطوعُ لله وأوْرعُ عن محارمه
٨	أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ	طائفة من الأيام قليلة
٨	حَاقَ بهم	نَزَلَ أوْ أحاطَ بهمْ
٩	إِنَّهُ لَيَئُوسٌ	شَديدُ الْيأسِ والْقُنُوط
٩	كَفُورٌ	كَثيرُ الكُفْرانِ للنِّعَم
١٠	ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ	نائبةٍ ونَكْبَةٍ أصابَتْهُ

الآية	الكلمة	التفسير
١٠	إِنَّهُ لَفرِحٌ	لَبَطِرٌ بِالنِّعْمَةِ ، مُغْتَرٌّ بِهَا
١٠	فَخُورٌ	علَى الناس بما أُوتِىَ من النَّعماء
١٢	وَكِيلٌ	قائم به حافظ له
١٥	لاَ يُبْخَسُونَ	لا يُنقصُونَ شيئاً من أُجورِ أعْمالِهم
١٦	حَبِطَ	بطَلَ فى الآخرَةِ
١٧	بَيِّنَةٍ	يقينٍ وبرهانٍ واضحٍ وهو القرآنُ
١٧	شَاهِدٌ	على تنزيله وهو إعجاز نظمه
١٧	مِرْيَةٍ مِنْهُ	شكٍّ من تنزيله من عند الله
١٨	الأَشْهَادُ	الملائكةُ والنبيُّون والجوارحُ
١٩	يَبْغُونَهَا عِوَجاً	يطلبونها مُعْوَجَّةً أو ذاتَ اعوجاج
٢٠	مُعْجِزِينَ	فائتين منْ عَذاب الله بالهَرب
٢٢	لاَ جَرَمَ	حَقَّ وَثَبَتَ أو لا محالةَ أو حَقًّا
٢٣	أَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ	اطْمَأَنُوا إلى وَعْده أوْ خَشَعُوا له
٢٧	المَلأُ	السادة والرؤساءُ
٢٧	بَادِىَ الرَّأْىِ	ظاهِرَهُ دونَ تَعمُّقٍ وَتَثَبُّتٍ
٢٨	أَرَأَيْتُمْ	أَخْبِرُونى
٢٨	فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ	أُخْفِيَتْ عليكُم
٣١	خَزَائِنُ الله	خزَائِنُ رزقه وماله
٣١	تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ	تَسْتَحْقِرُهُمْ وَتَسْتَهِينُ بِهِمْ
٣٣	مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِين	بفَائِتِينَ مِنْ عَذَابِ الله بالهَرب

الآية	الكلمة	التفسير
٣٤	أنْ يُغْوِيَكمْ	يُضلَّكُم
٣٥	فَعلَيَّ إجْرَامى	عقَابُ اكْتسَاب ذَنْبى
٣٦	فَلاَ تَبْتَئسْ	فَلاَ تحْزَنْ
٣٧	بأعْيُنِنَا	بحفْظنَا وكَلاءَتنَا الْكَاملَيْن
٣٩	يُخْزِيه	يُذلُّه ويُهِينُه
٣٩	يَحلُّ عَلَيْه	يَجبُ عَلَيْه ويَنْزِلُ به
٤٠	فَارَ التَّنُّورُ	نَبعَ المَاءُ وَجاش بِشِدَّةٍ من تَنُّورِ الخبز المعروف
٤١	مَجْرِيهَا	وَقْتَ إجْرَائها
٤١	مُرْسَاهَا	وَقْتَ إرْسَائها
٤٣	سَآوِى	سَألْتَجِئُ وَأَسْتَنِدُ
٤٣	لاَ عَاصِمَ	لاَ مَانِعَ وَلاَ حَافظَ
٤٤	أَقْلِعى	أَمْسِكى عَنْ إنْزَالِ المطَر
٤٤	غيضَ المَاءُ	نَقَصَ وَذَهَبَ فى الأَرْض
٤٤	اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ	استقرَّتْ عَلَى جَبَلٍ بقُرْبِ المَوْصِلِ
٤٤	بُعْدًا	هَلاَكاً وَسُحْقاً
٤٨	بَرَكَاتٍ	خَيْرَاتٍ ثَابتَةٍ نَامِيَةٍ
٥١	فَطَرَنى	خَلَقَنى وَأَبْدَعَنى
٥٢	السَّمَاءَ	المطَرَ
٥٢	مِدْرَاراً	غَزيراً مُتَتَابعاً بلا إضْرَارٍ

الآية	الكلمة	التفسير
٥٤	اعْتَرَاكَ	أصابَكَ
٥٤	بِسُوءٍ	بجنون وَخَبَل
٥٥	فَكِيدُونِي	فاحْتَالُوا فى كَيْدِى وَضُرِّى
٥٥	لاَ تُنْظِرُون	لا تُمْهِلُونِى
٥٦	آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا	مَالِكُهَا وقَادِرٌ عَلَيْهَا
٥٧	حَفِيظٌ	رَقِيبٌ مُهَيْمِنٌ
٥٨	غَلِيظٍ	شَدِيدٍ مُضَاعَفٍ
٥٩	جَبَّارٍ	مُتَعَاظِمٍ مُتَكَبِّرٍ
٥٩	عَنِيدٍ	طَاغٍ مُعَانِدٍ لِلْحَقِّ مُجَانِبٍ لَهُ
٦٠	بُعْدًا لِعَادٍ	هَلاَكاً وَسُحقاً لَهُمْ
٦١	اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا	جَعَلَكُم عُمَّارَهَا وَسُكَّانَهَا
٦٢	مُرِيبٍ	مُوقِعٍ فى الرِّيبَةِ وَالْقَلَقِ
٦٣	أَرَأَيْتُمْ	أَخْبِرُونِى
٦٣	بَيِّنَةٍ	يقينٍ وبُرهانٍ وبصيرةٍ
٦٣	تَخْسِيرٍ	خُسْرَانٍ إِنْ عَصَيْتُهُ
٦٤	آيَةً	مُعْجِزَةً دَالَّةً عَلَى صدق نُبُوَّتِى
٦٧	الصَّيْحَةُ	صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ مُهْلِكٌ
٦٧	جَاثِمِينَ	هَامِدِينَ مَيِّتِينَ لاَ يَتَحَرَّكُونَ
٦٨	لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا	لم يُقِيمُوا فيها طويلا فى رَغَدٍ
٦٨	بُعْدًا لِثَمُودَ	هَلاَكاً وَسُحْقاً لَهُمْ

الآية	الكلمة	التفسير
٦٩	بعجْلٍ حَنيذٍ	مَشْوىٌ بالْحجَارَة المحماة فى حُفْرَةٍ
٧٠	نَكرَهم	أَنْكرَهم ونَفرَ منهم
٧٠	أَوْجَسَ منْهُمْ خيفةً	أَحَسَّ فى قلبه منهم خَوْفاً
٧٢	يا ويْلَتَا	كلمةُ تَعَجُّب
٧٣	مَجيدٌ	كَثيرُ الخير والإحسَان
٧٤	الرَّوْعُ	الْخوْفُ والفزَعُ
٧٥	لَحَليمٌ	مُتَأنٍّ غَيْر عَجول
٧٥	أَوَّاهٌ	كَثيرُ التَّأوُّه من خَوْف الله
٧٥	مُنيبٌ	رَاجعٌ إلى الله سُبْحَانه
٧٧	سيءَ بهمْ	نالَتْهُ المسَاءَةُ بمجيئهمْ خوْفاً عليهم
٧٧	ضاقَ بهمْ ذَرْعاً	ضَعُفَتْ طاقَتُهُ عن تدبير خَلاصهم
٧٧	يَوْمٌ عَصيبٌ	شَديدٌ شَرُّهُ وبَلاؤُه
٧٨	يُهْرَعُونَ إليه	يُسْرعُونَ إلَيْه كَأَنهُمْ يُدْفَعُونَ
٧٨	لا تُخزُون	لا تَفْضَحُونى ولا تُهينُونى
٧٩	منْ حقّ	منْ حَاجَةٍ وأَرَب
٨٠	آوى إلَى رُكْنٍ	أَنْضَمُّ إلى قوىٍّ أَنْتَصرُ به عليكمُ
٨١	بقطْعٍ منَ اللَّيْلِ	بطَائفَة منْهُ أَوْ من آخره
٨٢	سجّيلٍ	طين طُبخَ بالنَّار كَالْفخَّار
٨٢	مَنْضُودٍ	مُتَتَابعٍ أو مجموعٍ مُعَدٌّ للعذَاب
٨٣	مُسَوَّمَةً	مُعْلَمةً للْعذاب

الآية	الكلمة	التفسير
٨٤	أَراكُمْ بِخَيْرٍ	بسَعَةٍ تُغْنيكُمْ عنِ التَّطْفيفِ
٨٤	يومٍ مُحيطٍ	مُهْلِكٍ
٨٥	بالْقِسْطِ	بالعدل بلا زيادةٍ ولا نُقْصانٍ
٨٥	لاَ تَبْخَسُوا	لاَ تَنْقُصُوا
٨٥	لا تعْثَوْا	لا تُفْسِدُوا أشَدَّ الإفساد
٨٦	بَقيَّةُ الله	مَا أبْقَاهُ لَكُمْ من الحلال
٨٦	بحفيظٍ	برَقيبٍ فأجازِيكُمْ بأعمالِكُم
٨٨	أرَأَيْتُم	أَخْبِرُونِي
٨٨	بَيِّنة	هداية وبَصيرةٍ
٨٩	لا يَجْرِمَنَّكُمْ	لاَ يَكْسِبَنَّكُمْ أَوْ لا يَحْمِلَنَّكُم
٩١	رَهْطُكَ	جماعَتُكَ وعَشيرَتُكَ
٩٢	وراءَكُمْ ظِهْرِيًّا	مَنْبُوذاً وراءَ ظُهُورِكُم منسيًّا
٩٣	مكَانَتِكُمْ	غَايَة تمَكُّنِكُمْ من أمرِكُمْ
٩٣	ارْتقبُوا	انْتَظِرُوا الْعاقبَةَ والمآلَ
٩٤	الصَّيْحَةُ	صَوْتٌ من السَّماء مُهْلِكٌ مُرْجِفٌ
٩٤	جاثمينَ	هامدينَ مَيِّتينَ لا يَتَحرَّكُونَ
٩٥	لم يَغْنَوْا فيهَا	لم يُقيمُوا فيهَا طويلاً في رَغَدٍ
٩٥	بُعْدًا لمَدْيَنَ	هَلاكاً وسُحْقاً لهم
٩٥	بَعدتْ ثمُودُ	هَلَكَتْ منْ قَبْلُ
٩٦	سلطَانٍ مُبينٍ	برهانٍ بَيِّنٍ علَى صدقِ رسالته

الآية	الكلمـــة	التفســـــير
٩٨	يقْدُمُ قَوْمَهُ	يَتَقَدَّمُهُمْ كما يَتقدَّمُ الوَارِدُ
٩٨	فأوْرَدَهُم النَّارَ	أَدْخَلَهُمْ فيهَا بكُفْرِه وكُفْرِهم
٩٨	الوِرْدُ المَوْرُودُ	المدْخَلُ المَدْخُولُ فيه وهُوَ النَّارُ
٩٩	الرِّفْدُ المَرْفُودُ	العَطَاءُ المُعطَى لهم وهُوَ اللَّعْنَةُ
١٠٠	حَصيدٌ	عَافِي الأَثَر ؛ كالزَّرْعِ المحصودِ
١٠١	غَيْرَ تَتْبِيبٍ	غَيْرَ تَخْسِيرٍ وإِهْلاكٍ
١٠٦	زَفِيرٌ	إِخْرَاجٌ شَدِيدٌ للنَّفَسِ من الصدر
١٠٦	شَهِيقٌ	رَدُّ النَّفَسِ إلى الصَّدْرِ
١٠٨	غيْرَ مَجْذُوذٍ	غَيْرَ مَقْطُوعٍ عنهم
١١٠	مُرِيبٍ	مُوقِعٍ في الرِّيبَة وقَلَقِ النَّفْسِ
١١٢	لا تَطْغَوْا	لا تُجَاوِزُوا مَا حَدَّهُ اللهُ لَكُم
١١٣	لاَ تَرْكَنُوا ..	لا تَمِلْ قُلُوبُكم بالمحبَّة
١١٤	زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ	سَاعَاتٍ منْه قريبةً من النهارِ
١١٤	ذِكْرَى للذَّاكرين	عِظَةً للمتَّعظِينَ
١١٦	القُرُون	الأُمَم
١١٦	أُولُوا بَقِيَّةٍ	أَصْحَابُ فَضْلٍ وَخَيْرٍ
١١٦	مَا أُتْرِفُوا فيه	مَا أُنْعِمُوا فيه من الخِصْبِ وَالسَّعة
١١٩	تَمَّتْ	وَجَبَتْ وَثَبَتَتْ
١٢١	مَكَانَتِكُمْ	غَايةِ تَمَكُّنِكُمْ من أمرِكُم

ثالثـــا:

ما أورده الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق فضيلة الشيخ محمود شلتوت عن سورة هود، في كتابه «من هدى القرآن»، مما يعدّ إضافة لما ورد في «المنتخب» تحت رقم (٢) : التفسير

قال رحمه الله :

الربع الأول

هود عليه السلام، هو أول رسول إلى قوم عاد. وعاد أول أمة من نسل سام بن نوح، وقد تحدث القرآن كثيرا عن هود فيمن تحدث عنهم من رسل الله الكرام، وقد ذُكر باسمه خمس مرات في هذه السورة التي سميت به، وقالوا: إنه أول من تكلم باللغة العربية.

وسورة هود من السور المكية، شأنها كسائر المكي: تقرير أصول الدين، وإقامة الأدلة عليها، ورد الشبه التي كان يثيرها المعارضون حول الدعوة وصاحبها عليه السلام.

(انظر الآيات من أول السورة: إلى نهاية الآية ٢٢)

عناصر الدعوة الإلهية:

والمتدبر للسورة يرى أنها.. أولا: قررت عناصر الدعوة الإلهية وهي: التوحيد، والرسالة والبعث - عن طريق الحجج العقلية، مع الموازنة بين النفوس المستعدة للإيمان، والنفوس النافرة منه. وقد عرضت

---

(٨) كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف. دار المعارف بمصر / ١٩٧٦ ١٢٤ - ١٣٣.

ذلك في أربع وعشرين آية يختتم بها الربع الأول منها : ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ. . .﴾ .

ثم أخذت تتحدث عن جملة من الرسل السابقين بيانا لوحدة الدعوة الإلهية، وتسلية للرسول عليه السلام، وإنذارا للمكذبين، واستغرق ذلك إلى نهاية الآية التاسعة والتسعين: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ ثم ذكرت في اثنتي عشرة آية بالوعد والوعيد، وبسنّة الله في أخذ الظالمين. وختمت بتوجيه الخطاب إلى النبي ومن تاب معه في مثلها اثنتي عشرة آية مرشدة إلى منهاج السعادة والفلاح. وتبتدئ من قوله تعالى : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾ إلى نهاية السورة: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

كتاب محكم

هذا هو موجز ما اشتملت عليه سورة هود. وقد بدأت فوصفت الكتاب بالإحكام، فلا يتطرق إليه خلل. . . وبالتفصيل فليس فيه خفاء وبأنه تنزيل الحكيم الذى لا يضل، الخبير الذى لا تخفى عليه مصلحة. ثم تأخذ فى تقرير الوحدانية والبعث، وأن الله سبحانه هو وحده المرجع فى طلب المغفرة وقبول التوبة، وأن مهمة الرسول، هى الإنذار والتبشير : ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

وفى أثناء ذلك تشير إلى ما يحصل عليه الإنسان من سعادتى الدنيا والآخرة إذا هو لبى الدعوة وآمن بها، وما يصيبه من خسران وشقاء إذا هو استمر على كفره وإعراضه، ثم تصور لنا حالة المعرضين فى محاولتهم إنكار الحق وانطوائهم فى ثيابهم على صدورهم مع وضوح الأدلة فى أنفسهم وفى الآفاق: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ﴾.

ثم ترشد إلى أن إعراضهم عن الحق لم يكن لخفائه، وإنما هو لاضطراب نفوسهم وترددها بين يأس الضراء وبطر النعماء، ولو أنهم عصموا أنفسهم من ذلك وعرفوا الحق، واستقر فى قلوبهم، لكان لهم من صبر الإيمان وصالح الأعمال ما يطمئنهم على حسن العاقبة: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾. ولكن القوم مع هذا البيان الواضح ما كانوا يتركون إحراج الرسول باقتراح ما لا يدخل تحت قدرته من الآيات، فأخذت الآيات فى تسليته، وبيان أن فى القرآن الغناء لمن يريد أن يؤمن، وليس على الرسول إلا أن يقوم بمهمته، وهى التبليغ والإنذار، وأن تكذيبهم إياه لم يكن لطلب حجة هم فى حاجة إليها. وإنما هى الدنيا، ملكت عليهم قلوبهم، وصرفتهم عن النظر فى حجة الله التى أنزلها بعلمه، وسيرون ما ينزل بهم من جزاء: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾.

إيثار الدنيا سبب البلاء

ثم تزيده تثبيتا على حقية الدعوة بأنها دعوة يؤمن بها من طهر قلبه واتجه إليها، وإلى نفسه فاتخذ منها البرهان على صدقها، ثم رجع إلى

تاريخ البشرية وعرف أنها رسالة الله إلى خلقه: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾. وما يكفر بها إلا الذين حرموا من إدراك الوجدان وبرهان العقل، وعميت عليهم أنباء الأولين: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾.

ثم تعود الآيات فتصف المكذبين بجملة من الأوصاف وترشد إلى سوء مصيرهم، وتسجل مضاعفة عذابهم وحرمانهم من النصير المدافع. ثم تختم عليهم بقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾. ومن شدة التنكيل بهم تضع أمام أعينهم عاقبة المؤمنين: ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾. ثم تضرب المثل للفريقين بما يعرفون به مقدار التفاوت بينهم: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

الربع الثانى

هذا هو الفصل الثانى من سورة هود (انظر الآيات من ٢٥ إلى نهاية الآية ٤٠ من سورة هود). ومن سنة القرآن أن يتبع تقرير الدعوة بما يدل على أنها بأصولها وأدلتها ونتائجها فى الدنيا والآخرة، هى دعوة الألوهية الوحيدة، التى بعث الله بها جميع رسله من مبدأ الخليقة إلى مرحلتها الأخيرة، مرحلة الإكمال والإتمام، وهى مرحلة محمد عليه الصلاة والسلام. وأن محمدا لم يكن بدعا فيها، كما أنه لم يكن بدعا فى المقابلة بالتكذيب من قومه، وإنما شأنه فى الدعوة وفى إعراض قومه

عنه، شأن إخوانه السابقين مع أممهم، وسيكون شأنه، وشأن قومه في العاقبة شأنهم وشأن أقوامهم: ﴿**فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

وفي هذا السبيل ذكرت السورة نوحا وقومه وهودا وقومه، وصالحا وقومه، وإبراهيم وبشراه، ولوطا وقومه، وشعيبا وقومه، وموسى وفرعونه. وفي كل قصة من هذه القصص عبرة أو عبر، جدير بدعاة الحق في كل زمان ومكان أن يملئوا بها قلوبهم، فيطمئنوا إلى نصر الله وتأييده، وجدير بالمكذبين أن يتمثلوها حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب أسلافهم من قبل.

قصة الأب الثاني للبشرية:

وبدأت السورة بالأب الثاني للبشر، وهو نوح عليه السلام، فذكرت أنه دعا قومه إلى توحيد الله، وأنه أنذرهم الشقاء الأبدي إذا هم أعرضوا عن دعوته، واستمروا على عبادة الأصنام من دون الله: «أني أخاف عليكم عذاب يوم أليم» وذكرت أن القوم طعنوا في رسالته، فقالوا: إنه بشر مثلهم، أي والبشر لا يصلح في نظرهم أن يكون رسولا، وقالوا: أنه لم يجب دعوته إلا أراذل القوم يريدون الطبقة الدنيا «الفقراء» ولو كانت حقة لسارع إليها أرباب المصالح والثراء «الطبقة العليا»، وأنه لا ينبغي لهم أن يجعلوا أنفسهم وهم أصحاب المال والسلطان في مستوى هؤلاء الفقراء، يجمعهم وإياهم دين واحد، ويخضعون معهم لسلطان واحد، وأنهم لا يرون لهم، ولا لرسولهم من المزايا ما يهون عليهم أن ينزلوا بأنفسهم إلى مشاركتهم في اتباعه

والإيمان به، ولعل هذا الموقف من قـــوم نوح، هو أول بعث لفكرة الطبقات، التى تقلب بها المجتمع البشرى - ولا يزال - على كتل من الجمر، محرقة للفضائل، مضيعة للكفارات، فمتى يفيق العالم وهو فى آخر مراحل الرقى، ويخلص نفسه من هذه العلة المزمنة التى اندفع إليها وهو فى طور الطفولة الذى لا رشد فيه؟.

ثم جاءت الآيات تفند هذه الطعون، وتقتلع هذه الفكرة من أساسها وتقرر أولا أن صاحب الدعوة، وقد توافرت لديه أدلة الإيمان بها، ليس من شأنه أن يكرههم عليها إذا خفيت عنهم، وهو لا يطلب منهم مالاً ولا عزة ولا ترتبط دعوته بالمال ولا بالسلطان، وإنما يدعوهم إليها طلبا لخيرهم، وعملا على مصلحتهم، فعلام هذا الموقف الذى إن دل على شيء فإنما يدل على التمرد والبعد عن فهم الحقائق؟، وإلا فكيف ينقمون منه أن أجاب الفقراء دعوته؟ وهى دعوة الله الذى لا يزن خلقه بميزان الغنى والفقر، ولا بميزان القوة والضعف وإنما يزنهم بمقياس الصفاء والإخلاص، والإيمان بالحق الذى يدعو إليه. كيف ينقمون منه هذا ويطلبون منه أن يطردهم: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾.

إن النبوة ليست أكثر من اصطفاء الله لمن يقوم بتبليغ رسالته، وليس من لوازمها، بل ولا يصح أن يكون من لوازمها أن يكون الرسول ملكا، أو أن يكون عنده خزائن الله، أو أن يكون محيطا بغيب الله فهو بشر، يقف عند حدود البشرية، لا يتجاوزها إلا بمقدار ما يوحى إليه،

وهو بذاته لا يعلم إلا ما يعلمه البشر، ولا يقدر إلا على ما يقدر عليه البشر، وأن الله قد كلفه بتبليغ رسالته، ولم يجعل الناس أمامه فى التبليغ إلا كما جعلهم فى الخلق، سواسية، لا طبقات، ولا أسياد، ولا أراذل ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾.

سفاهة قوم نوح:

وقف نوح مع قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، يقيم الحجة، ويدفع الشبهة حتى أخرسهم الحق ولم يجدوا منفذا للقول. فراحوا يستعجلون العذاب الذى توعدهم به، شأن الموغل فى العناد، يلقى بنفسه فى اليم، أو فى النار، حتى لا يقال: غُلب على أمره، وخضع لغيره، ولا يدرى أنه يسجل على نفسه نهاية الخزى فى الإعراض عن الحق تبعا لشهوة باطلة، أو خيال فاسد ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾، فيقرر لهم نوح الحق الذى يؤمن به ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾.

وتأتى المرحلة الأخيرة فيعلم الله فيها نوحا أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فاطو صفحة جهادك معهم، واتخذ وسيلة للنجاة لك ولقومك: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾، فيمتثل نوح الأمر، ويصنع الفلك ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾، فيؤكد لهم أن عاقبتهم فى موقف السخرية بالعذاب، هى عاقبتهم فى موقف السخرية بالرسالة، سيصيبهم خزى

العذاب، كما أصابهم خزى الحجة والبرهان. وإن من العذاب ما يرفع صاحبه إلى الهامات، وهو عذاب الرسل والمجاهدين فى سبيل الحق يصيبهم على أيدى الطغاة الظالمين، وهو عذاب مستعذَب، مشرِّف لصاحبه، يعقبه نعيم مقيم.

عذاب مستعذَب وعذاب أليم:

ومن العذاب ما ينزل بصاحبه إلى أحط الدرجات، ويكون مثلا يشفى صدور المؤمنين، ويزعزع كيان المبطلين، وهو عذاب الإعراض عن الحق والكيد لأهله وهو عذاب الخزى الذى يعقبه عذاب دائم أليم ﴿ **فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ** ﴾.

الربع الثالث

بنوة الإيمان هى الحقة

(انظر الآيات من ٤١ إلى نهاية الآية ٦٠ من سورة هود)

صنع نوح السفينة، وأتم عدته، ونفذ إرشاد الله، وحمل فيها مع أتباعه من كل صنف زوجين اثنين، وفار التنور، وتفجر الماء حتى طغى، وأخذت السفينة تجرى بهم فى موج كالجبال ﴿ **وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ** ﴾. فأبى الولد، وعزف عن دعوة أبيه، واعتقد أنه يعتصم بغير الله، ودفعت نوح شفقة الأبوة الطبيعية، فطلب من الله إنجاز وعده فى أهله معتقدا أن ابنه من أهله، الذين وعد الله بنجاتهم مع نوح: ﴿ **إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾. فيرد الله عليه بأن البنوة الطبيعية لا مكانة

لها عند الله ما لم تشد أزرها بنوة الحق، والاعتصام بأمر الله ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ﴾، ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾، وهذا في رسالة محمد يؤكد ويفصل ما جاء في رد الله على نوح: ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ﴾ ويدرك نوح زلته ويلتمس من ربه المغفرة: ﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾. فيغفر الله لنوح زلته، ويتم عليه وعلى من معه نعمته ﴿ **وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾.

الطـوفان

وقع الطوفان، وذهب بأعداء الله، أعداء الحق، وتلك عبرة القَصص في القرآن، وقد صرف الناس عنها، بحوث وضعت في الكتب والتفاسير، شغل الناس بها عن العبر والعظات، وكان من ذلك الكلام الكثير في عموم الطوفان وخصوصه، وعموم رسالة نوح وخصوصها، فمن قائل: بأن الطوفان لم يكن عاما، وأن التناسل البشرى لم يكن خاصة بذرية نوح، ولم يكن نوح الأب الثاني للبشر، وأن رسالته كانت خاصة بقومه بحكم السنة الإلهية في الرسل إلى أقوامهم، ومن قائل بأنه لم يكن بسطح الأرض سوى قوم نوح الذين لم يؤمن منهم إلا قليل، وهم الذين كانوا معه في السفينة، وأن رسالته كانت عامة بحكم انحصار الناس في قومه، لا بحكم أنه مرسل لهم ولغيرهم، وأن نوحا هو الأب

الثانى للبشر، تناسلت البشرية من ذريته فقط بعد الطوفان، وأن الطوفان كان عاما للمعمور من الأرض إذ ذاك.

هكذا اختلف الناس وأكثروا من القول.

رأى الإمام الأكبر:

والذى نراه أن المسألة من المعارف البشرية التى تركها الوحى لبحث الإنسان، لا تفسيرا للقرآن، وليس من مهمة القرآن أن يحدد الأوضاع، ولا أن يعيِّن الوقائع، وإنما مهمته الإرشاد إلى ما تدل عليه القصة من جهات العظة وأنواع العبرة. وعلى كل فنوح أرسل لقومه فقط، أما أنه كان فى المعمورة غير قومه ولم يرسل إليهم، أو أنه لم يكن فيها سواهم، فهذا شىء ليس له تأثير فى هدف القصة، ولا يمس اختصاص محمد ﷺ بعموم الرسالة لقومه ولغير قومه الموجودين على سطح الأرض، ومن سيوجد عليها إلى يوم الدين: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾.

هذا.. وفى العظة المقصودة من هذا القصص، وفى دلالته على أن القرآن من عند الله، يختم الله قصة نوح بقوله لنبيه على مسمع من القوم: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾.

قصة هود:

ثم تتبع الآيات قصة نوح، بقصة هود عليه السلام، فتذكر دعوته أيضا إلى قومه، وأنه أخذ بهم إلى سبيل الخير والقوة عن طريق عبادة

الله وحده، واستغفارهم مما هم فيه من الطغيان: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾. وتذكر معارضة قومه له وإنكارهم عليه، وأن آلهتهم أنزلوا به الجنون والاضطراب، فيتبرأ هود من آلهتهم ويتحداهم، ويستنهض همتهم فى أقصى ما يستطيعون من قوى الكيد، وأنه سوف لا يعبأ بهم ولا بجمعهم: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾.

وتذكر بعد ذلك خاتمة أمره مع قومه على حسب سنة الله فى نصرة أوليائه، وخزى أعدائه:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾[٩]

---

(٩) من هدى القرآن للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت. وزارة الثقافة. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٨ / ٧٣-٨٠ .

(ب) الواقعـــة:

أدرجها الإمام الفيروزابادى تحت البصيرة رقم (٥٦) من بصائره وقال عنها:

السورة مكية بالاتفاق. آياتها تسع وتسعون فى عدّ الحجاز والشام، وسبع فى البصرة، وست فى الكوفة. وكلماتها ثلاثمائة وثمان وسبعون، وحروفها ألف وسبعمائة وثلاث. المختلف فيها أربع عشرة آية: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (الآية ٨)، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (الآية ٩)، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (الآية ٤١)، ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (الآية ٢٧)، ﴿إِنشَاءً﴾ (الآية ٣٥)، ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ (الآية ٤٢)، ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ﴾ (الآية ٤٧)، ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ (الآية ١٨)، ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ (الآية ١٥)، ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (الآية ٢٢)، ﴿تَأْثِيمًا﴾ (الآية ٢٥)، ﴿وَالْآخِرِينَ﴾ (الآية ٤٩)، ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ (الآية ٥٠)، ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ (الآية ٨٩).

مجموع فواصل آياتها (لابدّ منه) على الباء منها آية واحدة: ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ (الآية ٣١).

سميت بسورة الواقعة، لمفتتحها.

معظم مقصود السورة: ظهور واقعة القيامة، وأصناف الخلق بالإضافة إلى العذاب والعقوبة، وبيان حال السابقين بالطاعة، وبيان حال قوم يكونون متوسطين بين أهل الطاعة وأهل المعصية، وذكر حال أصحاب الشمال، والغَرْقَى فى بحار الهلاك، وبرهان البعث من ابتداء الخِلْقة،

ودليل الحشر والنشر من الحَرْث والزَّرع، وحديث الماءِ والنَّار، وما فى ضمنهما : من النعمة والمنَّة، ومَسّ المصحف، وقراءَته فى حال الطَّهارة، وحال المتوفَّى فى ساعة السَّكرة، وذكر قوم بالبشارة، وقوم بالخسارة، والخُطْبة على جلال الحقّ تعالى بالكبرياءِ والعظمة بقوله : ﴿ **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** ﴾.

والسورة محكمة لا ناسخ فيها ولا منسوخ. وعن مقاتل أنَّ ﴿ **ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ** ﴾ فى أوّل السّورة منسوخٌ بثلَّة من الآخرين الذى بعده.(١٠)

ونسوق فيما يلى متن سورة الواقعة، مشفوعاً بتفسير آياتها، وهو ما ورد فى «المنتخب»، ثم نسوق بعد ذلك بيانا بمعانى ألفاظها.

أولا :

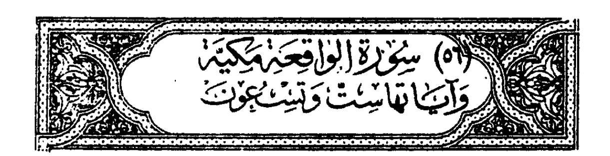
ما ورد فى «المنتخب» ويشتمل على :

١ - المتن.

٢ - التفسير.

(١٠) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروابادى ١ / ٤٥٠، ٤٥١ . انظر هامش رقم (٦) سابقاً.

١- المتـــــن:



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ

كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي

تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

٢ - التفسير:

بُدئت السورة بالحديث عن وقوع القيامة، والأحداث التى تصحب وقوعها، ثم أخبرت أن الخلق فى ذلك اليوم ثلاثة أصناف، معقبة ذلك بتفصيل وافٍ عما أعد لكل صنف من نعيم يلائم منزلته، أو عذاب يناسب كفره وعصيانه.

ثم أوضحت الآيات بعد ذلك مظاهر نعم الله تعالى، وآثار قدرته فى الخلق والزرع والماء والنار، وما تقتضيه هذه الآثار الواضحة من تسبيح

الله العظيم وتقديسه، وأقسمت الآيات على مكانة القرآن الكريم وما يستحقه من تقديس ناعية على الكافرين سوء صنيعهم، من وضعهم التكذيب مكان الشكر. وعقبت ذلك بإجمال لما فصلته عن الأصناف الثلاثة وما ينتظر كل صنف من نعيم أو جحيم.

وختمت السورة بتأكيد أن كل ما جاء فيها هو اليقين الصادق والحق الثابت، ورتبت على ذلك الأمر بتنزيه الله تعالى وتقديسه.

١، ٢، ٣ - إذا وقعت القيامة، لا تكون نفس مكذبة بوقوعها، هي خافضة للأشقياء رافعة للسعداء.

٤، ٥، ٦ - إذا زلزلت الأرض واهتزت اهتزازا شديدا، وفتتت الجبال تفتيتا دقيقا، فصارت غبارا متطايرا.

(تقرر هذه الآيات الكريمة مدى الأهوال التى تحل بالعالم عند قيام القيامة، ومن هذه الأهوال تلك الكوارث الكونية التى تؤثر على الأرض وطبقاتها. فالأرض التى نعيش على سطحها ليست مستقرة ومتوازنة تماما فهى تتكون من طبقات صخرية متداخلة غير منتظمة قد أنزلت بعضها بالنسبة لما يجاورها وكونت ما يسمى الفالق الچيولوجى فى مناطق عديدة. هذه الفوالق كانت ولا تزال المراكز العميقة للزلازل الكبرى لأنها تحت تأثير قوى الشد والجذب التى صاحبت الطبقة الأرضية عند انكسارها فإذا ما اختل توازن هذه القوى نتيجة لعوامل التأثير الإضافية الخارجية فقد يؤدى ذلك إلى انطلاق طاقة حركة كبرى تنبعث منها هزات أو زلازل أرضية قد تهدم كل شىء على سطح الأرض القريب من مركز الزلزال فيحدث خراب كبير.

والتفسير العلمى المذكور لا يؤثر بل ولا يبعد عن الوجهة الدينية، فإن الله تعالى قد يجعل الأسباب الكونية المعتادة يجتمع بعضها إلى بعض على غير ما عهدنا ليكون تفاعلها الرهيب سببا مباشرا لتخريب الدنيا، ويكون التفسير العلمى متجاوبا مع الآيات المنذرة بالأهوال الجسام وكل ذلك من عند الله، ويحصل عندما يأذن الله بتنفيذ قضائه فى دنيانا).

٧ - وصرتم جميعا فى هذا اليوم بأعمالكم أصنافا ثلاثة.

٨، ٩ - فأصحاب اليمين أهل المنزلة السنية ما أعظم مكانتهم، وأصحاب الشمال أهل المنزلة الدنية ما أسوأ حالهم.

١٠، ١١، ١٢ - والسابقون إلى الخيرات فى الدنيا هم السابقون إلى الدرجات فى الآخرة، أولئك هم المقربون عند الله، يدخلهم ربهم فى جنات النعيم.

١٣، ١٤ - هؤلاء المقربون جماعة كثيرة من الأمم السابقة وأنبيائهم، وقليل من أمة محمد بالنسبة إليهم.

١٥، ١٦ - على سرر منسوجة بالجواهر النفيسة، مضجعين عليها فى راحة واستقرار متقابلة وجوههم زيادة فى المحبة.

١٧، ١٨ - يدور عليهم للخدمة ولدان باقون أبدا على هذا الوصف، بأقداح وأباريق مملوءة من شراب الجنة، وبكأس مملوءة خمرا من عيون جارية.

١٩ - لا يصيبهم بشربها صداع يصرفهم عنها، ولا تذهب عقولهم.

٢٠، ٢١ - وفاكهة من أى نوع يختارونه ويرونه، ولحم طير مما ترغب فيه نفوسهم.

٢٢، ٢٣، ٢٤ - ونساء ذوات عيون واسعة، كأمثال اللؤلؤ المصون فى صدفه صفاء ورونقا، يعطون هذا الجزاء بما كانوا يعملون من الصالحات فى الدنيا.

٢٥، ٢٦ - لا يسمعون فى الجنة كلاما لا ينفع، ولا حديثا يأثم سامعه، إلا قول بعضهم لبعض: نسلم سلاما.

٢٧ - وأصحاب اليمين لا يعلم أحد ما جزاء أصحاب اليمين.

٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤ - فى شجر من النبق مقطوع شوكه، وشجر من الموز متراكب ثمر بعضه فوق بعض، وظل منبسط لا يذهب وماء منصب فى آنيتهم حيث شاءوه، وفاكهة كثيرة الأنواع والأصناف لا مقطوعة فى وقت من الأوقات، ولا ممنوعة عمن يريدها، وفرش عالية ناعمة.

٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨ - إنا ابتدأنا خلق الحور العين ابتداء، فخلقناهن أبكارا، محببات إلى أزواجهن، متقاربات فى السن، مهيئات لنعيم أصحاب اليمين.

٣٩، ٤٠ - أصحاب اليمين جماعة كثيرة من الأمم السابقة، وجماعة كثيرة من أمة محمد ﷺ.

٤١ - وأصحاب الشمال لا يدرى أحد ما فيه أصحاب الشمال من العذاب.

٤٢، ٤٣، ٤٤ - في ريح حارة تنفذ في المسام وتحيط بهم، وماء متناه في الحرارة يشربونه ويصب على رءوسهم، وفي ظل من دخان حار شديد السواد، لا بارد يخفف حرارة الجو، ولا كريم يعود عليهم بالنفع إذا استنشقوه.

٤٥ - إنهم كانوا قبل هذا العذاب مسرفين في الاستمتاع بنعيم الدنيا، لاهين عن طاعة الله تعالى.

٤٦ - وكانوا يصممون دائما على الذنب العظيم الجرم، حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت.

٤٧ - وكانوا يقولون إنكارا للإعادة: أنُبعث إذا متنا، وصار بعض أجسامنا ترابا وبعضها عظاما بالية، أئنا لعائدون إلى الحياة ثانيا؟.

٤٨ - أنُبعث نحن وآباؤنا الأقدمون الذين صاروا ترابا متفرقا ضالا في الأرض.

٤٩، ٥٠ - قل لهم ردا لإنكارهم، إن الأولين من الأمم والآخرين الذين أنتم من جملتهم لمجموعون إلى وقت يوم معين لا يتجاوزونه.

٥١، ٥٢، ٥٣ - ثم إنكم أيها الجاحدون عن سبيل الهدى، المكذبون بالبعث، لآكلون في جهنم من شجر هو الزقوم، فمالئون من هذا الشجر بطونكم من شدة الجوع.

٥٤، ٥٥ - فشاربون على ما تأكلون من هذا الشجر ماءً متناهيا في الحرارة لا يروى ظمأ، فشاربون بكثرة كشرب الإبل العطاش التي لا تروى بشرب الماء.

٥٦ - هذا الذى ذكر من ألوان العذاب ما أعد قرى لهم يوم الجزاء.

٥٧ - نحن ابتدأنا خلقكم من عدم، فهلا تقرون بقدرتنا على إعادتكم حين بعثكم؟.

٥٨، ٥٩ - أفرأيتم ما تقذفونه فى الأرحام من النطف، أأنتم تقدرونه وتتعهدونه فى أطواره حتى يصير بشرا، أم نحن المقدرون له؟

٦٠، ٦١ - نحن قضينا بينكم بالموت، وجعلنا لموتكم وقتا معينا، وما نحن بمغلوبين على أن نبدل صوركم بغيرها، وننشئكم فى خلق وصور لا تعهدونها.

٦٢ - ولقد أيقنتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى، فهلا تتذكرون أن من قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدر.

٦٣، ٦٤ - أفرأيتم ما تبذرونه من الحب فى الأرض؟ أأنتم تنبتونه أم نحن المنبتون له وحدنا؟

٦٥، ٦٦، ٦٧ - لو نشاء لصيرنا هذا النبات هشيما متكسرا قبل أن يبلغ نضجه، فلا تزالون تتعجبون من سوء ما أصابه قائلين: إنا لملزمون الغرم بعد جهدنا فيه، بل نحن سيئو الحظ، محرومون من الرزق.

٦٨، ٦٩ - أفرأيتم الماء العذب الذى تشربون منه، أأنتم أنزلتموه من السحاب أم نحن المنزلون له رحمة بكم؟.

(المزن هى السحب الممطرة، وعملية الأمطار تتطلب توفر ظروف جوية خاصة لا يمكن أن يسيطر عليها الإنسان أو يوفرها صناعيا مثل هبوب تيار بارد فوق آخر ساخن أو حالات عدم الاستقرار فى الجو.

وقد حاول الإنسان استمطار السحب العابرة صناعيا إلا أن هذه المحاولات لا تزال مجرد تجارب على أن الثابت علميا أن نجاح هذه التجارب على نطاق ضيق جدا مع وجوب توفر بعض الظروف الملائمة طبيعيًا)

٧٠ - لو نشاء صيرناه مالحا لا يساغ، فهلا تشكرون الله أن جعله عذبا سائغا؟

٧١، ٧٢ - أفرأيتم النار التي توقدون، أأنتم أنبتم شجرتها وأودعتم فيها النار، أم نحن المنشئون لها كذلك؟

٧٣ - نحن جعلنا هذه النار تذكيرا لنار جهنم عند رؤيتها، ومنفعة للنازلين بالقفر، ينتفعون بها في طهو طعامهم وتدفئتهم.

٧٤ - فدم على التسبيح بذكر اسم ربك العظيم، تنزيها وشكرا له على هذه النعم الجليلة.

٧٥، ٧٦ - فأقسم حقا بمساقط النجوم عند غروبها آخر الليل أوقات التهجد والاستغفار وإنه لقسم - لو تفكرون في مدلوله - عظيم الخطر بعيد الأثر.

(تبين هاتان الآيتان مدى أهمية هذا القسم العظيم، فإن النجوم أجرام مضيئة بذاتها وأقرب النجوم إلينا وهي الشمس تبعد عنا بمقدار ٥٠٠ سنة ضوئية تقريبا بينما النجم الذي يليها في القرب يبعد عنا بمقدار ٤ سنوات ضوئية تقريبا. فالطاقة التي نستخدمها من الشمس هي المقومات الأساسية للحياة، فلو كان بعد الشمس عن الأرض أقل أو أكثر

مما هو عليه الآن فإن الحياة تصبح قاسية متعذرة كما أن أحجام النجوم تختلف بعضها عن بعض فمنها النجوم العملاقة وهى من الاتساع بحيث تشمل الأرض والشمس على بعدهما.

هناك مجموعات من النجوم تسمى بالعناقيد سابحة فى الفضاء تخترق المجرة اللبنية من حين لآخر، فإذا صادفت خلال مرورها المجموعة الشمسية واصطدمت بها فإن فى ذلك الهلاك والفناء المحقق حتى إذا ما اقترب نجم من النجوم من الشمس فإن ذلك يؤدى أيضاً إلى اختلال فى التوازن وإلى الهلاك والفناء.

لذلك فإن آيات العبرة والقدرة تظهر فى هذا الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى ونظمه).

٧٧، ٧٨ - إنه لقرآن كثير المنافع، فى اللوح المحفوظ مصون لا يطلع عليه غير المقربين من الملائكة.

٧٩، ٨٠ - لا يمس القرآن الكريم إلا المطهرون من الأدناس والأحداث، منزل من عند الله رب الخلق أجمعين.

٨١ - أتعرضون فبهذا القرآن العظيم وقدره أنتم متهاونون؟

٨٢ - وتجعلون بدل شكر رزقكم أنكم تكذبونه.

٨٣، ٨٤، ٨٥ - فهلا إذا بلغت روح أحدكم عند الموت مجرى النفس، وأنتم حين بلوغ الروح الحلقوم حول المحتضر تنظرون إليه، ونحن أقرب إلى المحتضر وأعلم بحاله منكم، ولكن لا تدركون ذلك ولا تحسونه.

٨٦ ، ٨٧ - فهلا إن كنتم غير خاضعين لربوبيتنا ، تردون روح المحتضر إليه إن كنتم صادقين فى أنكم ذو قوة لا تقهر .

٨٨ ، ٨٩ - فأما إن كان المحتضر من السابقين المقربين فمآله راحة ورحمة ورزق طيب وجنة ذات نعيم .

٩٠ ، ٩١ - وأما إن كان من أصحاب اليمين فيقال له تحية وتكريما : سلام لك من إخوانك أصحاب اليمين .

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ - وأما إن كان من أصحاب الشمال المكذبين الضالين فله نزل وقِرًى أعد له من ماء حار تناهت حرارته ، وإحراق بنار شديدة الاتقاد .

٩٥ - إن هذا الذى ذكر فى هذه السورة الكريمة لهو عين اليقين الثابت الذى لا يداخله شك .

٩٦ - فدم على التسبيح بذكر اسم ربك العظيم ، تنزيها له وشكرا على آلائه .(١١)

ثانيـــا :

معانى ألفاظ سـورة الواقعـة :

وردت فى كتاب «كلمات القرآن» لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف على النحو التالى :

---

(١١) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم / ٧٩٧ - ٨٠٢ . انظر هامش رقم (٧) سابقاً .

الآية	الكلمة	التفسير
		(٥٦) سورة الواقعة - مكية (آياتها ٩٦)
١	وَقَعَت الْوَاقِعَةُ	قامت الْقِيَامةُ بنفْخَة الْبعْث
٢	كاذِبَةٌ	نفسٌ كَاذبَةٌ تُنْكِرُ وُقُوعَهَا
٣	خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ	هِيَ خافضَةٌ للأشْقياء رَافعَةٌ للسُّعَداء
٤	رُجَّت الأَرْضُ	زُلْزِلَتْ وحُرِّكَتْ تَحْرِيكاً بشِدَّة
٥	بُسَّت الْجِبَالُ	فُتِّتَتْ كالسَّوِيقِ الْمَلْتُوت
٦	هَبَاءً مُنْبَثًّا	غباراً مُتفرِّقاً مُنْتَشِراً
٧	كُنْتُمْ أَزْوَاجاً	أَصْنافاً
٨	فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَة	الْيُمْنِ وَالبَرَكة. أو ناحية اليمين
٩	وأَصْحَابُ الْمَشْأَمَة	الشُّؤْم. أو ناحية الشمال
١٣	ثُلَّةٌ	هُمْ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرَةٌ
١٥	سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ	مَنْسُوجة مِنَ الذَّهَب بإحكامٍ
١٧	وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ	مُبَقَّوْنَ عَلَى هَيْئَة الْوِلْدَان في الْبَهاء
١٨	بأَكْوَابٍ	أقداحٍ لا عُرَى لها وَلا خَرَاطِيمَ
١٨	أَبَارِيقَ	أَوَانٍ لها عُرَى وَخراطيمُ
١٨	كَأْسٍ	خَمْرٍ أو قَدح فيه خَمْرٌ
١٨	مِنْ مَعِين	خَمْرٍ جارِيَةٍ مِن العيُون
١٩	لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا	لا يُصِيبُهُمْ صُدَاعٌ بشُرْبها
١٩	لاَ يُنْزِفُونَ	لا تَذْهَبُ عُقولهمْ بسَبَبها
٢٢	حُورٌ عِينٌ	نساءٌ بِيضٌ وَاسِعَاتُ الأَعْيُنِ حِسَانُهَا

الآية	الكلمة	التفسير
٢٣	اللُّؤْلُؤ المَكْنُون	المَصُون في أَصْدَافه ممَّا يُغَيِّرُهُ
٢٥	لَغْواً	كلاماً لا خَيْرَ فيه أو باطلاً
٢٥	ولا تَأْثيماً	ولاَ نسْبَةٌ إلى الإثم أوْ لا ما يُوجبُه
٢٨	في سدْر	في شَجَر النَّبْق يتنعَّمونَ به
٢٨	مَخْضُود	مَقْطُوعٍ شَوْكهُ
٢٩	طَلْحٍ	شَجَرِ المَوْزِ أَوْ مثْله
٢٩	مَنْضُود	نُضِّدَ بالْحَمل منْ أَسْفَله إلى أَعْلاَهُ
٣٠	ظلٌّ مَمْدُودٍ	دائم لا يَتَقَلَّصُ أَوْ مُمْتَدٌّ مُنْبَسِط
٣١	مَاءٍ مَسْكُوبٍ	مَصْبُوب يجْري في غيْر أخاديدَ
٣٤	مرْفُوعَةٍ	علَى الأَسِرَّة أو مُنضدَّة مُرْتفعَة
٣٧	عُرُباً	مُتَحَبِّبَات إلَى أزْوَاجهنَّ
٣٧	أَتْرَاباً	مُسْتَويَات في السِّنِّ
٤٢	سَمُوم	ريح شَديدَة الْحرارَة تَدْخُل المسَامّ
٤٢	حَميم	مَاء بَالغ غايَة الحَرارَة
٤٣	يَحْمُوم	دُخَان شَديد السَّوَاد أوْ نار
٤٤	لاَ كَريمٍ	لا نَافع منْ أذَى الْحرِّ
٤٥	مُتْرَفينَ	مُنَعَّمينَ مُتَّبعينَ أَهْوَاءَ أَنْفُسهمْ
٤٦	الْحنْث	الذّنْب العَظيم - الشِّرْك
٥٢	زَقُّوم	شَجَر كَريه جدًّا في النَّار
٥٥	شُرْبَ الهيم	الإبل الْعطَاش التي لاَ تَرْوَى

الآية	الكلمة	التفسير
٥٦	هذا نُزُلُهُمْ	ما أُعدَّ لهُمْ منَ الجَزاء
٥٦	يوْمَ الدِّين	يوْمَ الجزاء (يومَ القيامة)
٥٨	أفرأيْتمْ	أخْبِرُونى
٥٨	ما تُمْنُونَ	المَنىَّ الذى تَقْذفُونَهُ فى الأرْحَام
٥٩	تَخْلُقُونَهُ	تُصَوِّرُونَهُ بَشراً سَوِيًّا
٦٠	بِمَسْبُوقِينَ	بمَغْلُوبينَ عَاجزين
٦٣	ما تَحرُثُونَ	البَذْرَ الَّذى تُلْقُونَهُ فى الأرض
٦٤	تزرَعُونَهُ	تُنْبِتُونَهُ حتَّى يشتدَّ ويَبْلُغَ الغَاية
٦٥	حُطَاماً	هَشيماً مُتكسِّراً لا يُنْتَفَعُ به
٦٥	تفَكَّهُونَ	تَتعَجَّبونَ منْ سُوء حَاله ومَصيره
٦٦	إنَّا لَمُغْرَمُونَ	مُهْلَكُونَ بهلاك رِزْقنَا
٦٧	مَحْرُومُون	مَمْنُوعُونَ الرِّزْقَ بالكُلِّيَّة
٦٩	المُزْن	السَّحَاب أو الأبيض منهُ
٧٠	جعَلْنَاهُ أُجَاجاً	ملْحًا زُعَاقاً أو مُرًّا لا يمْكنُ شربُه
٧١	النَّارَ الَّتى تُورُونَ	تَقْدَحُونَ الزِّنَاد لاَسْتخْراجها
٧٣	تذْكِرَةً	تذْكيراً لنار جهنَّمَ
٧٣	مَتاعاً لِلْمُقْوِينَ	مَنْفَعَةً للْمُسَافرينَ فى القَوَاءِ (القَفْر) أوِ المُحْتَاجِينَ إلَيْهَا
٧٥	فَلاَ أُقْسِمُ	فأُقْسمُ و«لا» مَزيدةٌ للتَّأكيد
٧٥	بِمَوَاقِعِ النُّجُوم	بمَغاربِهَا. أو منازلِهَا

الآية	الكلمة	التفسير
٧٧	إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ	نَفَّاعٌ جَمُّ المَنَافِعِ . أَوْ رَفِيعُ القَدْرِ
٧٨	كِتَابٍ مَكْنُونٍ	مَسْتُورٍ مَصُونٍ عندَ الله فى اللَّوْحِ المحفُوظِ من السُّوءِ
٧٩	لا يَمَسُّهُ إِلاَّ المُطَهَّرُونَ	صفةٌ أُخرَى للقُرآن
٨١	أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ	مُتهَاوِنُونَ أَوْ مُكَذِّبُونَ
٨٢	تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ	شُكْرَكُمْ عَلَى الإنعَامِ به
٨٣	بَلَغَت الحُلْقُومَ	بَلَغت الرُّوحُ الحلقُومَ عِنْدَ المَوْت
٨٥	نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ	بعلْمنا وقُدْرَتنا
٨٦	غَيْرَ مَدِينِينَ	غَيْرَ مَرْبُوبِينَ مَقْهُورِينَ
٨٩	فَرَوْحٌ	فَلَهُ اسْتِرَاحَةٌ أَوْ رَحْمَةٌ
٨٩	رَيْحَانٌ	رِزْقٌ حَسَنٌ
٩٣	فَنُزُلٌ	فَلَهُ قِرًى وَضِيَافَةٌ
٩٣	حَمِيمٍ	مَاءٍ تَنَاهَتْ حَرَارَتُهُ
٩٤	تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ	مُقَاسَاةٌ لحَرِّ النَّارِ أَوْ إِدْخَالٌ فِيهَا[١٢]

(١٢) كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٣٤٩ - ٣٥٣ . انظر هامش رقم (٨) سابقاً.

(جـ) الحاقة:

أدرجها الإمام الفيروزابادى تحت البصيرة رقم (٦٩) من بصائره وقال عنها :

السورة مكية. وآياتها إحدى وخمسون فى عدّ البصرة والشام، واثنتان فى عدّ الباقين. وكلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وأربعمائة وثمانون. والمختلف فيها آيتان : ﴿ **الْحَاقَّةُ** ﴾ الأولى ﴿ **بِشِمَالِهِ** ﴾ (الآية ٢٥). مجموع فواصل آياتها (نم له) على اللام منها آية واحدة ﴿ **بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ** ﴾ (الآية ٤٤).

ولها إسمان : سورة الحاقة، لمفتتحها، وسورة السلسلة، لقوله ﴿ **فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ** ﴾ (الآية ٣٢).

معظم مقصود السورة:

الخبر عن صعوبة القيامة، والإشارة بإهلاك القرون الماضية، وذكر نفخة الصور، وانشقاق السموات، وحال السعداء والأشقياء وقت قراءة الكتب، وذل الكفار مقهورين فى أيدى الزبانية، ووصف الكفّار القرآن بأنه كهانة وشعر، وبيان أن القرآن تذكرة للمؤمن، وحسرة للكافر، والأمر بتسبيح الركوع فى قوله : ﴿ **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** ﴾

السورة محكمة : خالية من الناسخ والمنسوخ [١]

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ١ / ٤٧٨ . انظر هامش رقم (٦) سابقاً.

ونسوق فيما يلى متن سورة الحاقة، مشفوعاً بتفسير آياتها، وهو ما ورد فى «المنتخب» ويشتمل على :

١ - المتن

٢ - التفسير

ثم نورد بيان معانى ألفاظ السورة

أولا: المتن



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ

فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾

٢ - التفسير:

عرضت هذه السورة الكريمة لأحوال القيامة، وذكرت بما أصاب الأمم السابقة من الهلاك والأخذ الشديد حين كذبوا، وتحدثت عن النفخ فى الصور، وما يصيب الأرض والجبال والسماء من التغير والزوال، وما يكون بعد ذلك من العرض للحساب، وبشرت أصحاب اليمين بما يلقون من جزاء كريم ونعيم مقيم، وأنذرت أصحاب الشمال بالعذاب الأليم، وختمت بالحديث عن صدق رسول الله - ﷺ - فيما بلغه، وعن صدق القرآن الذى هو حق اليقين.

١ ، ٢ - القيامة الواقعة حقا، ما القيامة الواقعة حقا؟!

٣ - وأى شىء أدراك حقيقتها، وصور لك هولها وشدتها؟!

٤ - كذبت ثمود وعاد بالقيامة التى تقرع العالمين بأهوالها وشدائدها.

٥ - فأما ثمود فأهلكوا بالواقعة التى جاوزت الحد فى الشدة.

٦ - وأما عاد فأهلكو بريح باردة عنيفة متمردة.

٧ - سلطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة لا تنقطع، فترى فى مهاب الريح موتى كأنهم أصول نخل خاوية أجوافها.

٨ - فهل ترى لهم من نفس باقية دون هلاك؟!

٩ - وجاء فرعون ومَنْ قبله من الأمم التى كفرت، والجماعة المنصرفة عن الحق والفطرة السليمة بالأفعال ذات الخطأ العظيم الفاحش.

١٠ - فعصت كل أمة من هؤلاء رسول ربهم، فأخذهم بعقابه أخذة زائدة فى الشدة.

١١ - إنا لما جاوز الماء حده، وعلا فوق الجبال في حادث الطوفان، حملناكم - بحمل أصولكم - في السفينة الجارية.

١٢ - لنجعل الواقعة التي كان فيها نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة لكم وعظة، وتحفظها كلُّ أُذُنٍ حافظة لما تسمع.

١٣، ١٤ - فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة، ورفعت الأرض والجبال عن موضعهما، فَدُكَّتا مرة واحدة.

١٥، ١٦ - فيومئذ نزلت النازلة، وانشقت السماء بزوال أحكامها، فهي يومئذ ضعيفة بعد أن كانت محكمة قوية.

١٧ - والملائكة على جوانبها، ويحمل عرش ربك فوق هؤلاء الملائكة يومئذ ثمانية.

١٨ - يومئذ تعرضون للحساب، لا يخفى منكم أي سر كنتم تكتمونه.

١٩ - فأما من أعطى كتابه بيمينه فيقول معلنا سروره لمن حوله: خذوا اقرءوا كتابي.

٢٠ - إني أيقنت في الدنيا أني ملاق حسابي، فأعددت نفسي لهذا اللقاء.

٢١ - فهو في عيشة يعمها الرضا.

٢٢ - في جنة رفيعة المكان والدرجات.

٢٣ - ثمارها قريبة التناول.

٢٤ - كلوا واشربوا أكلا وشربا لا مكروه فيهما، ولا أذى منهما، بما قدمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية.

٢٥ ، ٢٦ - وأما من أُعْطِيَ كتابه بشماله فيقول ندما وحسرة : يا ليتنى لم أُعْطَ كتابى ، ولم أعلم ما حسابى .

٢٧ - يا ليت الموتة التى منَّها كانت الفاصلة فى أمرى ، فلم أُبعث بعدها .

٢٨ ، ٢٩ - ما نفعنى شيء ملكته فى الدنيا ، ذهبت عنى صحتى ، وزالت قوتى .

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ - يقال لخزنة جهنم : خذوه فاجمعوا يديه إلى عنقه ، ثم لا تدخلوه إلا نار الجحيم ، ثم فى سلسلة بالغة الطول فاسلكوه .

٣٣ ، ٣٤ - إنه كان لا يصدق بالله العظيم ، ولا يحث أحدا على إطعام المسكين .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ - فليس لهذا الكافر اليوم فى الجحيم قريب يدفع عنه ، وليس له طعام إلا من غسالة أهل النار التى هى دم وقيح وصديد ، لا يأكله إلا المذنبون المتعمدون المصرون .

٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ - فلا أقسم بما تبصرون من المرئيات وما لا تبصرون من عالم الغيب . إن القرآن لمن الله على لسان رسول رفيع المكانة .

٤١ - وما القرآن بقول شاعر كما تزعمون ، قليلا ما يكون منكم إيمان بأن القرآن من عند الله .

٤٢ - وما القرآن بسجع كسجع الكهان الذى تعهدون ، قليلا ما يكون منكم تذكر وتأمل للفرق بينهما .

٤٣ - هو تنزيل ممن تعهد العالمين بالخلق والتربية .

٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ - ولو ادعى علينا شيئاً لم نقله لأخذنا منه كما

يأخذ الآخذ بيمين من يجهز عليه للحال، ثم لقطعنا منه نياط قلبه، فيموت لساعته.

٤٧ - فليس منكم أحد - مهما بلغت قوته - يحجز عقابنا عنه.

٤٨ - وأنَّ القرآن لعظة للذين يمتثلون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.

٤٩ - وإنَّا لنعلم أن منكم مكذبين بالقرآن.

٥٠ - وإنه لسبب فى ندامة شديدة على الجاحدين به، حين يرون عذابهم ونعيم المصدقين.

٥١ - وإن القرآن لحق ثابت لا ريب فيه.

٥٢ - فنزِّه ربك العظيم، ودُمْ على ذكر اسمه.(١٤)

ثانياً: معانى ألفاظ سورة الحاقة

وردت فى كتاب «كلمات القرآن تفسير وبيان» لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف على النحو التالى :

الآية	الكلمة	التفسير
		(٦٩) سورة الحاقة - مكية (آياتها ٥٢)
١	الْحَاقَّةُ	السَّاعةُ يَتَحقَّقُ فيهَا مَا أنكَرُوه
٢	مَا الْحَاقَّةُ	أىُّ شَىْءٍ هِىَ فِى أَهْوَالِها
٤	بِالْقَارِعَة	بِالْقيامة تَقْرَعُ القلُوبَ بأفْزَاعِها
٥	بِالطَّاغِيَة	بِالصَّيْحَة الْمُجَاوِزَة للْحَدِّ فى الشِّدَّة

(١٤) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم / ٨٤٨ - ٨٥١ . انظر هامش رقم (٧) سابقا.

الآية	الكلمــــة	التفســـــير
٦	بريحٍ صرْصَرٍ	شَديدَة السَّمُوم أو الْبَرْدِ أَو الصَّوْت
٦	عَاتيَةٍ	شديدة العصْف
٧	سَخَّرَها عَليْهِمْ	سَلَّطَها عَليْهِمْ بقُدْرَته تَعالى
٧	حُسُومًا	مُتَتَابِعَات . أَوْ مَشْئُومَاتٍ
٧	أَعْجَازُ نَخْلٍ	جُذُوعُ نَخْلٍ بلاَ رُءُوسٍ
٧	خَاوِيَةٍ	سَاقطَة أَوْ فَارغَة أَوْ بَاليَةٍ
٩	الْمُؤْتَفكَاتُ	قرَى قَوْمِ لُوط (أَهْلُهَا)
٩	بالْخَاطئَة	بالْفعَلاَت ذَات الْخَطإِ الْجَسيم
١٠	أَخْذَةً رَابيَةً	زَائدَةً في الشِّدَّة عَلَى الأَخَذَات
١١	الْجَاريَة	سَفينَة نُوحٍ عليه السلام
١٢	تَذْكرَةً	عبْرَةً وَعظَة
١٢	وتَعيَهَا	ولتَحْفَظَهَا
١٣	نَفْخَةٌ وَاحدَةٌ	النَّفْخَةُ الأُولَى لخَرَاب العَالَم
١٤	حُملَت الأَرْضُ	رُفعَتْ منْ أَمَاكنهَا بأَمْرنا
١٤	فَدُكَّتَا	فَدُقَّتَا وَكُسِّرتَا . أَوْ فَسُوِّيَتَا
١٥	وَقَعَت الْوَاقعَةُ	قَامَت الْقيَامَةُ
١٦	انْشَقَّت السَّمَاءُ	تَفَطَّرَتْ وَتَصدَّعَتْ منَ الهَوْلِ
١٦	وَاهيَةٌ	ضَعيفَةٌ مُتَدَاعيَةٌ بعدَ الإِحكَامِ
١٧	عَلَى أَرْجَائها	جَوَانبها وَأَطْرَافها
١٨	يَوْمَئذٍ تُعْرَضُونَ	بَعْدَ النَّفْخَة الثَّانيَة للْحسَاب وَالْجزَاء

الآية	الكلمة	التفسير
١٩	هَاؤُمُ	خُذُوا أَوْ تعَالَوْا
١٩	كِتَابِيَهْ	كتَابى، وَالْهاءُ للسَّكْت
٢١	رَاضية	مَرْضيَّة لا مكْرُوهة
٢٣	قُطُوفُهَا دانيَةٌ	ثمارُها قريبَةُ التَّناوُل إذْ تُجْنَى
٢٤	هَنيئاً	أَكْلاً غيْرَ مُنَغّص ولا مكَدَّر
٢٧	كانَت الْقَاضيَةَ	المَوْتَةَ الْقَاطعَة لأَمْرى ولم أُبْعثْ
٢٨	مَا أَغْنَى عنّى	مَا دفَعَ الْعذَابَ عنّى
٢٨	مَاليَهْ	الذى كانَ لى منْ مَال ونَحْوه
٢٩	سُلْطَانيَهْ	حُجَّتى أَوْ تَسَلُّطى وقُوَّتى
٣٠	فَغُلُّوهُ	اجْعَلُوا الْغُلَّ فى يدَيْه وعُنُقه
٣١	الْجَحيمَ صَلُّوهُ	أَدْخلُوهُ. أَو احْرِقُوهُ فيهَا
٣٢	فَاسْلُكُوهُ	فَأَدْخلُوهُ فيهَا
٣٤	لاَ يَحُضُّ	لاَ يَحُثُّ وَلا يُحَرِّضُ
٣٥	حَميمٌ	قَريبٌ مُشْفقٌ يَحْميه منَ الْعذَاب
٣٦	غسْلين	صَديد أَهْلِ النَّار
٣٧	الْخَاطئُونَ	الْكافرُونَ
٣٨	فَلاَ أُقْسمُ	أُقْسمُ. و«لا» مزيدةٌ
٤٠	إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُول	يُبَلِّغُهُ عن الله أُوحيَ إلَيْه
٤٤	تَقَوَّلَ عَلَيْنَا	اخْتَلَقَ وَافْتَرى عليْنَا
٤٥	بالْيَمين	بيَمينه. أَوْ بالْقُوَّة وَالْقُدرة

الآية	الكلمـــة	التفســـــير
٤٦	الْوَتِينَ	نِيَاطَ الْقَلْب . أَوْ نُخَاعَ الظَّهْرِ
٤٧	عَنْهُ حَاجِزِينَ	مَانِعِينَ الهَلاَكَ عَنْهُ
٥٠	لَحَسْرَةٌ	نَدَامَةٌ عَظِيمَةٌ
٥٢	فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ	نَزِّهْهُ عَمَّا لا يَلِيقُ بِهِ تَعَالى(١٥)

ثالثــــاً :

ما أورده فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت عن سورة «الحاقة» من كتابه «من هدى القرآن» مما يعدّ إضافة لما ورد فى «المنتخب» .

قال رحمه الله :

سورة الحاقة

وجّهت سورة الملك أنظار القوم إلى بعض ما فى الكون من دلائل الوحدانية وآيات الحكمة والعلم والقدرة ، وكشفت سورة القلم عن نعمة الله على محمد ، وعن بطلان التهمة التى وجهها إليه القوم حقدا وغيظا ، وهى تهمة الجنون ، وحذرته أن يلين لهم أو أن يسارع إليه الغضب فيكون كأخيه يونس بن متى ، وضربت لهم الأمثال فى عاقبة الاغترار بالأموال والبنين ، ولم يفتها أن تعرض للتهديد بالبعث ، ودار الجزاء .

(١٥) كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف ٣٧٩ - ٣٨٢ . انظر هامش رقم (٨) سابقا.

ثم تجيء سورة الحاقة فتضع الحد الفاصل بين زعمهم وبين دعوة الرسول فيما يختص بالقيامة فتبدأ بتفخيمها وتعظيم شأنها وأنها بلغت في عظم الشأن أن يقف الإنسان أمام أنبائها وأهوالها مبهوتا متسائلا بل بلغت مبلغا يتسامى عن الإدراك والإحاطة «الحاقة» ما هي؟ وما أدراك ما هي؟ استفهام يملأ النفس روعة ورعبا، ويقف بها على شاطئ بحر متلاطم الأمواج، لا يدرك البصر أطرافه، فيقف حائرا مضطربا لا يملك سوى أن يقول ما هذا؟ ما هذا؟

معنى الحاقة:

وكلمة «الحاقة» ككلمات القارعة والواقعة، والطامة، والصاخة، أعلام بالغلبة على القيامة ولكل منها دلالة على معنى من معانيها، وأثر من آثارها فهي حاقة في ذاتها، وهي حاقة لأبنائها، وهي بمقوماتها وأحداثها تقرع القلوب وتصك الأسماع، وهي التي بعد هذا كله كان إنكار الأمم السابقة لها سببا في فسادهم وطغيانهم، وفي التنكيل بهم على وجه لا تزال آثاره وأخباره تنبئ بما أصابهم من الهلاك والدمار، فهذه ثمود، وتلك عاد، وهذا فرعون ومن قبله من الطغاة، وهذه «المؤتفكات» القرى التي أؤتفكت وانقلبت على أهلها بفعلتهم الشنعاء: قرى قوم لوط. هؤلاء جميعا أنكروها ولم يعملوا على حسابها، فاندفعوا في طغيانهم وإثمهم فأتى على الكل ما طوى صفحتهم من الوجود، وجعلهم أثرا من بعد عين «فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية».

وقد ذكَّرت السورة بالطوفان الذى أخذ قوم نوح، مصرحة بجانب النعمة فيه على العرب وهى حمل أصولهم فى السفينة ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** ﴾. ومعنى هذا أنه كان جديرا بالعرب وهم

أبناء الذين سلموا من الطوفان أن يذكروا تلك النعمة ويدعوا العناد والتكذيب: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

إنــذار:

وبعد أن فخمت السورة من شأن الساعة ما فخمت، وقدمت للقوم النذر التاريخية التى أصابت المكذبين بها أخذت تصور أحداثها من مقدماتها إلى نهايتها فصورت بالنفخ فى الصور انحلال النواميس التى تمسك العالم علويه وسفليه ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾. ثم تصور عظمة السلطان الإلهى بمثل ما يعهده الناس فى سلطان القادرين الأقوياء: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ وحسبنا أن نؤمن بما تدل عليه العبارة من عظم السلطان على حسب ما يعهده الناس فى دنياهم. أما كيف تقف الملائكة على الأرجاء، أو كيف يُحمل العرش، أو من هؤلاء الثمانية؟ أو ما حكمة هذا العدد؟ فهذا كله مما لا ينبغى أن نخوض فى حقيقته، وإنما هو روعة القضاء الإلهى، والحكمة القاهرة.

جــزاء المؤمــن:

ثم تشير الآيات إلى العرض على دار القضاء التى تحدد فيها المسئوليات: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾. ثم تشير إلى الحكم فيصدر لفريق بالنجاة وعلى آخر بالإدانة، وأن الأولين يسلّمون صك البراءة بأسلوب التكريم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾. وأن الآخرين يسلمون صك الإدانة - على العكس - بالإهانة، معترفين بألمهم الكاذب

وغرورهم الفاسد: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾. وبعد أن يصدر الحكم يجيء دور التنفيذ فيكون المؤمنون ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾.

جزاء المكذب:

أما المكذب المجرم فيقال للزبانية: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾. ثم تبرز الآيات حيثية الحكم على هذا المجرم: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾. وحسب المسكين أن يكون إهمال أمره وعدم الحض على إطعامه عديلا فى كتاب الله وقضائه للكفر بالله.

وبعد أن يتم تصوير مراحل القضاء الإلهى فى الفصل بين المؤمنين والمكذبين تنتقل السورة إلى ما يقرر الحق فى النفوس، وتبرز قسم الله - الذى ليس فى حاجة إلى القسم - بالعالم غائبه وشاهده، على أن القرآن قول رسول كريم، وما هو بقول شاعر، ولا بقول كاهن. وإنما هو تنزيل من رب العالمين.

ثم تعبر السورة عن موقف الألوهية بالنسبة لمحمد على فرض أنه كما يزعمون قد افترى القرآن على ربه: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾. والمعنى لقضينا عليه من ساعته، وقطعنا منه عرق الحياة، ثم لا يوجد من يدفع عنه، أو يمنعنا من تنفيذ إرادتنا فيه، وموقفنا منه - وقد افترى علينا - هو موقفنا منكم وقد كذبتموه فى رسالته.

أثر القرآن في النفوس:

ثم تختم السورة ببيان أثر القرآن في النفوس، وأنه تذكرة للقلوب الصافية المستعدة للخير، وحسرة على الأخرى التي أفسدت استعدادها بالشهوات والأهواء: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾. ﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾. ثم تؤكد أن القرآن هو الحق الثابت الذي لا شبهة فيه، وتأمر الرسول بالتزامه وإهمال المكذبين، معتصما في ذلك بتنزيه الله الذي أحاطه بعنايته والذي لا يرجى ولا يُخاف سواه : ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[16]

(د) إذا الشمس كورت (التكوير):

أدرجها الإمام الفيروزابادي تحت البصيرة رقم (٨١) من بصائره وقال عنها :

السورة مكية. وآياتها تسع وعشرون في عدّ الجميع. وثمان في عدّ أبي جعفر. أسقط أبو جعفر ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ (الآية ٢٦) كلماتها مائة وأربعون. وحروفها خمسمائة وثلاث وثلاثون. فواصل آياتها (تسنّم). تسمى سورة كوِّرت، وسورة التكوير، لمفتتحها.

مقصود السورة:

بيان أحوال القيامة، وأهوالها، وذكر القَسَم بأن جبريل أمين على الوحي، مكينٌ عند ربه، وأن محمداً ﷺ لا مُتَّهم ولا بخيل بقول الحق، وبيان حقيقة المشيئة والإرادة في قوله ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾.

---

(١٦) من هدى القرآن للإمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت / ١٤٦ - ١٤٩ . انظر هامش رقم (٩) سابقا.

المنسوخ فيها آية واحدة: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ (المنسوخة) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ (الناسخة)[١٧]

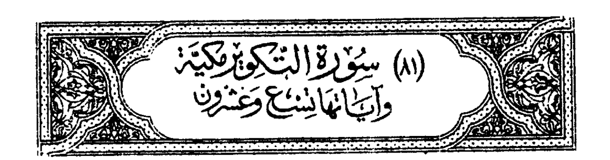
ونسوق فيما يلى متن سورة التكوير، مشفوعاً بتفسير آياتها، وهو ما ورد فى «المنتخب»، ويشتمل على:

١ – المتن.

٢ – التفسير.

ثم نورد بيان معانى ألفاظ السورة.

١- المتن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا

---

(١٧) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ١ / ٥٠٣ . انظر هامش رقم (٦) سابقا.

السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

٢ - التفسيـــــر:

في هذه السورة تصوير لما يقع من أحداث عند قيام الساعة وبعد قيامها، وعرض لمظاهر القدرة، وتأكيد لشأن القرآن الكريم، ودفع الفرية عنه، وتنزيه للرسول عن الجنون، وتهديد للمتمادين في الضلال، وتوجيه إلى ما في القرآن من عبر ينتفع بها أهل الاستقامة، ورد أمر الناس لمشيئة رب العالمين.

١ - إذا الشمس لفت ومحى ضوؤها.

٢ - وإذا النجوم انطمس نورها.

٣ - وإذا الجبال حُركت من أماكنها.

٤ - وإذا من شأنه أن يحمل فقد خاصته.

٥ - وإذا الوحوش جمعت من أوكارها وأجحارها، ذاهلة من شدة الفزع.

٦ - وإذا البحار تأججت نارا .

٧ - وإذا الأرواح قرنت بأجسادها .

٨ ، ٩ - وإذا المدفونة حية سُئلت - ترضية لها ، وسخطا على من وأدها - بأى جريرة قُتلت ، ولا ذنب لها .

١٠ - وإذا الصحف التى كتبت فيها أعمال أصحابها بسطت عند الحساب .

١١ - وإذا السماء أزيلت من مكانها .

١٢ - وإذا النار أوقدت إيقادا شديدا .

١٣ - وإذا الجنة أدنيت وقربت .

١٤ - وإذا حدثت تلك الظواهر علمت كل نفس ما قدمته من خير أو شر .

١٥ - فأقسم قسما مؤكدا بالنجوم التى تنقبض عند طلوعها ، فيكون ضوؤها خافتا .

١٦ - الجارية التى تستتر وقت غروبها ، كما تستتر الظباء فى مغاراتها .

١٧ - والليل إذا خف ظلامه عند إدباره .

١٨ - وبالصبح إذا بدأ ضوؤه وهب نسيمه .

١٩ - إن القرآن لقول رسول من الله كريم عليه .

٢٠ - صاحب قوة فى أداء مهمته ، صاحب مكانة ومنزلة عند الله ذى العرش .

٢١ - مطاع أمين على الوحى هناك فى الملأ الأعلى .

٢٢ - وما رسولكم الذى صاحبتموه وعرفتم رجاحة عقله بمجنون .

٢٣ - وأقسم : لقد رأى محمد - ﷺ - جبريل بالأفق المظهر لما يرى فيه.

٢٤ - وما محمد على الوحى ببخيل يقصر فى تبليغه وتعليمه.

٢٥ - وما الوحى المنزل عليه بقول شيطان مطرود من رحمة الله.

٢٦ - فأى طريق أهدى من هذا الطريق تسلكون؟؟!

٢٧ - ما القرآن إلا تذكير وموعظة للعالمين.

٢٨ - لمن أراد منكم الاستقامة لتحرى الحق والصواب.

٢٩ - وما تشاءون شيئا إلا أن يشاء الله رب العالمين ذلك.[١٨]

ثانيـا:

معانى ألفاظ سورة التكوير:

الآية	الكلمــة	التفســـير
		(٨١) سورة التكوير - مكية (آياتها ٢٩)
١	الشَّمْسُ كُوِّرَتْ	أزِيلَ ضِيَاؤُهَا أو لُفَّتْ وَطُوِيَتْ
٢	النُّجُومُ انْكَدَرَتْ	تَساقَطَتْ وَتهَاوَتْ
٣	الجِبَالُ سُيِّرَتْ	أزِيلَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا
٤	الْعِشَارُ عُطِّلَتْ	النُّوقُ الحَوَامِلُ أُهْمِلَتْ بِلا رَاعٍ
٥	الْوُحُوشُ حُشِرَتْ	جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
٦	الْبِحَارُ سُجِّرَتْ	أوقِدَتْ فَصَارَتْ نَاراً تَضْطَرِم
٧	النُّفُوسُ زُوِّجَتْ	قُرِنَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِشَكْلِهَا

---

(١٨) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم / ٨٨٧، ٨٨٨ . انظر هامش رقم (٧) سابقا. وانظر أيضاً : تفسير سورة التكوير لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى. مكتبة القرآن ١٩٨٠ .

الآية	الكلمـــة	التفســـــير
٨	الْمَوْءُودَةُ	الْبِنْتُ الَّتِى تُدْفَنُ حيَّةً
١٠	الصُّحُفُ نُشرَتْ	صحفُ الأعمال فُرِّقَتْ بينَ أصحابها
١١	السَّماءُ كُشِطَتْ	قُلِعَتْ كما يُقْلَعُ السَّقْفُ
١٢	الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ	أوقِدَت وأُضرِمتْ للكُفَّار
١٣	الْجَنَّةُ أزْلِفَتْ	قُرِّبَتْ وأُدْنِيَتْ من المُتَّقين
١٤	عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ	مَا عَمِلَتْ من خَيْرٍ أو شَرٍّ (جواب إذَا)
١٥	فَلاَ أُقْسِمُ	(أُقْسِمُ) و«لا» مزيدةٌ
١٥	بالْخُنَّسِ	بالكَواكب السَّيَّارَة تَخْنُسُ نَهَاراً وتَخْتفى عن البصر وَهِى فَوْقَ الأفق، وتَظْهَرُ لَيْلاً ثم تكنسُ وَتَسْتَتِرُ فى مَغيبها تحتَ الأفقِ
١٦	الْجَوارِ الْكُنَّسِ	
١٧	وَاللَّيْلِ إذَا عَسْعَسَ	أَقْبَلَ ظَلاَمُهُ. أو أدْبَرَ
١٨	وَالصُّبْحِ إذَا تَنَفَّسَ	أَقْبَلَ أو أَضَاءَ وَتَبَلَّجَ
١٩	إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ	جبريل عن الله (جَوَابُ الْقَسَمِ)
٢٠	مَكِينٍ	ذى مكانَةٍ رَفِيعةٍ وَشرفٍ
٢٣	رَآهُ	رأى الرسولُ جبريلَ بصُورته الخَلْقيَّة
٢٤	الغَيْبِ	الْوَحْى وَخَبرِ السماء
٢٤	بِضَنِينٍ	بِبَخِيلٍ فَيُقَصِّرُ فى تَبْلِيغه[١٩]

---

(١٩) كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٤٠٨-٤١٠ . انظر هامش رقم (٨) سابقاً.

(هـ) المرسـلات:

أدرجها الإمام الفيروزابادى تحت البصيرة رقم (٧٧) من بصائره وقال عنها:

السورة مكية. وآياتها خمسون. وكلماتها مائة وإحدى وثمانون. وحروفها ثمانمائة وستة عشر. مجموع فواصل آياتها (عبرتم لنا) على اللام الفصل فى الموضعين (الآيتان ١٣، ١٤)، وعلى الراء القصر (الآية ٣٢)، وصُفْر (الآية ٣٣)، وعلى الباء ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (الآية ٣٠) و﴿اللَّهَبِ﴾ (الآية ٣١).

سمّيت سورة المرسلات، لمفتتحها.

معظم مقصود السورة:

القَسَم بوقوع القيامة، والخبرُ عن إهلاك القرون الماضية، والمِنَّة على الخلائق. بإيجادهم فى الابتداء، وإدخال الأجانب فى النار، وصعوبة عقوبة الحقِّ إياهم، وأنواع كرامة المؤمنين فى الجنَّة، والشكاية عن الكفّار بإعراضهم عن القرآن فى قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[20]

ونسوق فيما يلى متن سورة المرسلات، مشفوعاً بتفسير آياتها، وهو ما ورد فى «المنتخب» ويشتمل على:

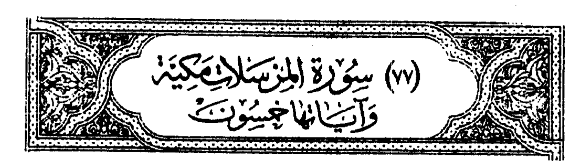
١ - المتن.

٢ - التفسير.

---

(٢٠) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ١ / ٤٩٥ . انظر هامش رقم (٦) سابقا.

أولاً: المتن:



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلا

يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

٢- التفسير:

أهم ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة الكلام عن البعث والقيامة وإقامة الأدلة على وقوعها، وتهديد من يكذب بهما، وتكرير ذلك التهديد بالويل عشر مرات، وتخويفه بما يذوق من الذلة والعذاب، وتبشير المتقين بما يلقونه من الرفاهة والنعيم، وختامها: الويل للكافرين الذين لا يؤمنون بالقرآن.

١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧ - أقسم بالآيات المرسلة على لسان جبريل إلى محمد للعرف والخير، فالآيات القاهرات سائر الأديان الباطلة تنسفها نسفاً، وبالآيات الناشرات للحكمة والهداية فى قلوب العالمين نشراً عظيماً، فالفارقات بين الحق والباطل فرقاً واضحاً، فالملقيات على الناس تذكرة تنفعهم - إعذاراً لهم وإنذاراً فلا تكون لهم حجة: إن الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة لنازل لا ريب فيه.

٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ - فإذا النجوم محقت ذواتها ، وإذا السماء شقت ، وإذا الجبال فتُتَتْ ونسفتها الرياح نسفاً ، وإذا الرسل عُين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على الأمم .

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - لأى يوم أخرت هذه الأمور العظيمة ؟ ليوم يكون فيه الفصل بين الخلائق ، وما أعلمك ما شأن يوم الفصل ؟ هلاك دائم يومئذ للمكذبين بما أوعدهم به الرسل .

١٦ ، ١٧ ، ١٨ - ألم نهلك الأولين من الأمم المكذبة ، ثم نتبع الأولين الآخرين فى الهلاك مثل ذلك الفعل بكل من أجرم وكفر بالله .

١٩ - هلاك يومئذ للمكذبين بما أوعدنا .

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ألم نخلقكم من ماء حقير وهو النطفة ، فجعلنا هذا الماء فى مقر يتمكن فيه ، فيتم خلقه وتصويره مؤخراً إلى وقت قد علمه الله ، فقدرنا على خلقه وتصويره وإخراجه ، فنعم المقدرون الخالقون له نحن ؟ ! ويل يومئذ للمكذبين بنعمة الخلق والتقدير .

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ - ألم نجعل الأرض ضامة على ظهرها أحياء لا يعدون ، وفى بطنها أمواتاً لا يُحصرون ، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت عاليات ، وأسقيناكم ماء عذباً سائغاً ؟ ! هلاك يومئذ للمكذبين بهذه النعمة .

٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ - يقال للكافرين يوم الفصل : سيروا إلى النار التى كنتم بها تكذبون ، سيروا إلى حرارة دخان من جهنم يتشعب لعظمه ثلاث شعب ، لا مُظل من حر ذلك اليوم ، ولا يغنى ذلك الظل من حر اللهب شيئاً .

٣٢، ٣٣، ٣٤ - إن النار ترمى بما تطاير منها كالقَصْرِ فى العظم، كأن الشرر جِمَالٌ سُودٌ تضرب إلى الصفرة، هلاك يومئذ للمكذبين بأن هذه صفتها.

٣٥، ٣٦، ٣٧ - هذا الذى قص عليكم إنه واقع يوم لا ينطقون بشىء ينفعهم، ولا يكون لهم إذْن فى النطق، ولا يصدر منهم اعتذار لأنه لا عذر لهم، هلاك يومئذ للمكذبين بهذا اليوم.

٣٨، ٣٩، ٤٠ - هذا اليوم الفاصل بين المحق والمبطل بجزاء كلٌ بما يستحقه، جعلناكم.. يا مكذبى محمد - والأولين المكذبين مثلكم، فإن كان لكم حيلة فى دفع هذا العذاب عنكم فاحتالوا، فأحضروا وتخلصوا من عذابى، هلاك يومئذ للمكذبين بوعيد الله.

٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥ - إن المتقين من عذاب الله فى ظلال عظيمة، وعيون جارية، وفواكه مما يستلذون ويستطيبون. مقولاً لهم تحية وتكريماً: كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً بما كنتم تعملون فى الدنيا من الصالحات، إنا مِثْلُ ذلك الجزاء العظيم نجزى المحسنين، هلاك يومئذ للمكذبين بالجنة.

٤٦، ٤٧ - ويقال للكافرين: كلوا وتمتعوا متاعاً ليس له بقاء(*)، مجرمونٍ بإشراككم بالله. هلاك يومئذ للمكذبين بالنعم.

٤٨، ٤٩ - وإذا قيل لهم: صلُّوا لله، واخشعوا إليه، لا يخشعون ولا يصلُّون، بل يصرون على استكبارهم. هلاك يومئذ للمكذبين بأوامر الله ونواهيه.

(*) أى فى حياتكم الدنيا.

٥٠ - فبأى حديث بعد القرآن يؤمنون إن لم يؤمنوا بالقرآن، مع أنه معجزة من السماء؟!(٢١)

ثانيـاً:

معانى ألفاظ سورة المرسلات:

وردت فى كتاب «كلمات القرآن تفسير وبيان» لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف على النحو التالى :

الآية	الكلمـــة	التفســـير
		(٧٧) سورة المرسلات - مكية (آياتها ٥٠)
١	وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً	(أَقْسَمَ اللهُ) بِرِيَاحِ الْعَذَابِ مُتَتَابِعَةً كَعُرْفِ الْفَرَس
٢	فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً	الرِّيَاحِ الشَّدِيدَةِ الْهُبُوبِ الْمُهْلِكَة
٣	وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً	الملائكة تنشُرُ أَجْنِحَتَهَا فى الْجَو عند النُّزول بالْوَحْى
٤	فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً	الملائكة تأتى بالْوَحْى فُرقاناً بينَ الْحقِّ والْبَاطِل
٥	فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً	الملائكة تُلقى الوَحْى إلى الأنبياء
٦	عذرا	للإعْذارِ مِنَ اللهِ للْخَلْق
٦	نُذْراً	للإِنْذَارِ وَالتَّخْوِيف بالْعقَاب
٧	إِنَّمَا تُوعَدُونَ	مِنَ الْبَعْثِ (جوابُ القَسَم)

---

(٢١) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم / ٨٧٤-٨٧٦ . انظر هامش رقم (٧) سابقاً.

الآية	الكلمة	التفسير
٨	النُّجُومُ طُمِسَتْ	مُحِيَ نُورُهَا وَأُذْهِبَ ضَوْؤُهَا
٩	السَّماءُ فُرِجَتْ	شُقَّتْ أو فُتِحَتْ فكانَتْ أَبْوَاباً
١٠	الْجِبالُ نُسِفَتْ	قُلِعَتْ مِنْ أَمَاكِنِها بِسُرْعَةٍ
١١	الرُّسُلُ أُقِّتَتْ	بُلِّغَتْ مِيقَاتَهَا (يوْمَ القيامة)
١٢	لأىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ	يقال لأىِّ يومٍ أُخِّرَتْ
١٣	لِيَوْمِ الْفَصْلِ	بين الْخلائق أو الحقِّ والباطل
١٥	وَيْلٌ يوْمَئِذٍ	هَلاكٌ فى ذلكَ الْيَوْمِ الهَائل
٢٠	ماءٍ مَهِينٍ	منىٍ ضَعِيفٍ حَقِير
٢١	قَرارٍ مَكِينٍ	مُتَمَكِّنٍ، وَهُوَ الرَّحِمُ
٢٣	فَقَدَرْنَا	فقَدَّرْنا ذلكَ تَقْدِيراً
٢٥	الأَرْضَ كِفَاتاً	وعاءً تَضُمُّ الأَحْيَاءَ عَلَى ظَهْرِها
٢٦	أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً	وَالأَمْوَاتَ فى بطْنِها
٢٧	رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ	جِبالاً ثَوابِتَ مُرْتَفِعَات
٢٧	مَاءً فُراتاً	حُلْواً عَذْباً
٣٠	ظِلٍّ	هُوَ دُخَانُ جهَنَّم عياذا بالله تعالى
٣٠	ثَلاثِ شُعَبٍ	فِرَقٍ ثَلاثٍ كالذَّوائب
٣١	لاَ ظَلِيل	لاَ مُظَلِّلٍ مِنَ الحَرِّ
٣١	لاَ يُغْنِى مِنَ اللَّهَب	لاَ يَدْفَعُ شيْئاً مِن حَرِّهِ

الآية	الكلمة	التفسير
٣٢	تَرْمِي بِشَرَرٍ	هُوَ مَا تَطَايَرَ مِنَ النَّارِ مُتَفَرِّقاً
٣٢	كَالْقَصْرِ	كُلُّ شَرَرَةٍ كَالْبِنَاءِ الْمُشَيَّدِ فِى الْعِظَمِ وَالارْتِفَاعِ
٣٣	كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ	كَأَنَّ الشَّرَرَ إِبِلٌ سُودٌ «وَتُسَمِّيهَا العَرَبُ صُفْراً» فِى الكَثْرَةِ وَالتَّتَابُعِ وَسُرْعَةِ الحركة واللون.
٣٩	لَكُمْ كَيْدٌ	حِيلَةٌ لاتِّقَاءِ العَذَابِ(٢٢)

(و) عمَّ يتساءلون (النبأ):

أوردها الإمام الفيروزابادى تحت البصيرة رقم (٧٨) من بصائره وقال عنها:

السورة مكية. وآياتها إحدى وأربعون فى عدّ المكّى والبصرى، وأربعون فى عدّ الباقين. وكلماتها مائة وثلاث وسبعون. وحروفها ثمانمائة وست عشرة. المختلف فيها آية ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ (الآية ٤٠) فواصل آياتها (منا) وعلى الميم آية ﴿الْعَظِيمِ﴾ (الآية ٢).

ولها اسمان: عمَّ يتساءلون لقوله: ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾، والنبأ، لقوله ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾

(٢٢) كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٣٩٨-٤٠٠. انظر هامش رقم (٨) سابقا.

معظم مقصود السورة:

ذكر القيامة، وخَلْق الأرض والسماء، وبيان نفع الغيث، وكيفية النَّشْر والبعث، وعذاب العاصين، وثواب المطيعين من المؤمنين، وقيام الملائكة فى القيامة مع المؤمنين، وتمنّ الكافر المحال فى قوله ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾

السورة محكمة (٢٣)

ونسوق فيما يلى متن سورة النبأ، مشفوعاً بتفسير آياتها، وهو ما ورد فى «المنتخب» ويشتمل على:

١ - المتن.

٢ - التفسير.

أولاً: المتن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا

---

(٢٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ١ / ٤٩٧ . انظر هامش رقم (٦) سابقاً.

فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾

٢ - التفسير:

قررت هذه السورة أمر البعث، وهددت المرتابين فيه، وأقامت الأدلة على إمكانه بما عَرَضَتْ من مظاهر القدرة، وأكدت حصوله، وذكرت بعض علاماته، ثم ذكرت مآل الطاغين ومآل المتقين، وختمت بالإنذار والتخويف من هذا اليوم الرهيب.

١ - عن أى شيء يسأل هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضا ؟ !

٢ ، ٣ - عن الخبر العظيم ، خبر البعث الذى هم موغلون فى الاختلاف فيه بين منكر له وشاكٍّ فيه .

٤ - زجراً لهم عن هذا التساؤل سيعلمون حقيقة الحال حين يرون البعث أمراً واقعاً .

٥ - ثم زجراً لهم ، سيعلمون ذلك عندما يحل بهم النكال .

٦ - ألم يروا من آيات قدرتنا أنا جعلنا الأرض ممهدة للاستقرار عليها والتقلب فى أنحائها ! !

٧ - وجعلنا الجبال أوتاداً للأرض تثبتها .

(يبلغ سمك الجزء الصلب من القشرة الأرضية نحو ٦٠ كيلو مترا ، وتكثر فيه التجاعيد فيرتفع حيث الجبال وينخفض ليكون بطون البحار وقيعان المحيطات ، وهو فى حالة من التوازن بسبب الضغوط الناتجة من الجبال ولا يختل هذا التوازن إلا بعوامل التعرية ، فقشرة الأرض اليابسة ترسيها الجبال كما ترسى الأوتاد الخيمة) .

٨ - وخلقناكم مزدوجين ذكوراً وإناثاً .

٩ - وجعلنا نومكم راحة لكم من عناء العمل .

(النوم هو توقف نشاط الجزء المدرك الواعى من المخ - أى قشرته أو هبوط ذلك النشاط هبوطا كبيرا متفاوت الدرجات فى نشاط كافة أعضاء الجسم وأنسجته مما يترتب عليه انخفاض فى توليد طاقة الجسم وحرارته - ثم يأخذ الجسم أثناء النوم نصيبا من الهدوء والراحة بعد عناء المجهودات العضلية أو العصبية أو كليهما ، فتهبط جميع وظائف

الجسم الحيوية، ما عدا عمليات الهضم وإفراز البول من الكليتين والعرق من الجلد فإن في وقف هذه العمليات الأخيرة ضررا على حياة الفرد أما التنفس مثلا فيبطئ ويصير أكثر عمقا ويغدو صدريا أكثر منه بطنيا، وتبطئ سرعة النبض ويقل مقدار ما يدفقه من القلب من كل ضربة، ويضعف توتر العضلات ويصير من الصعب الحصول على الحركات العكسية وكل هذا بسبب الراحة للإنسان أثناء نومه).

١٠ - وجعلنا الليل ساتراً لكم بما يغطيكم من ظلمته.

١١ - وجعلنا النهار وقت سعى لكم، لتحصيل ما به تعيشون.

١٢ - وأقمنا فوقكم سبع سموات قويات محكمات.

١٣ - وأنشأنا شمساً مضيئة متوقدة.

(المراد بالسراج الوهاج: الشمس، وذلك كما ثبت علميا من أن درجة حرارة سطحها المشع تبلغ ٦٠٠٠ درجة مطلقة، أما المركز فتزيد فيه درجة الحرارة على ٣٠ مليون درجة بسبب ما تعانيه المواد فيه من الضغوط العالية، وتشع الشمس النسب الآتية من الطاقات ٩٪ أشعة فوق البنفسجية، ٤٦٪ أشعة ضوئية، ٤٥٪ أشعة حرارية، أو تحت الحمراء، ولذلك عبرت عنها الآية الكريمة بالسراج الذى يطلق الضوء والحرارة معاً).

١٤ - وأنزلنا من السحب التى حان أمطارها ماء قوى الانصباب.

(المطر هو المصدر الوحيد للماء العذب على الأرض. والأصل فى المطر تكاثف أبخرة المياه المتصاعدة من المحيطات والبحار ونحوها على شكل سحب وتحويلها إلى نقط من الماء أو بلورات من الثلج أو هما

معا، وتتساقط هذه المكونات عندما تزداد حجومها على هيئة مطر أو بَرَدٍ).

١٥ - لنخرج بهذا الماء حبًّا ونباتاً غذاء للناس والحيوان.

١٦ - وبساتين ذات أشجار ملتفة متشابكة الأغصان.

١٧ - إن يوم الفصل بين الخلائق كان ميعاداً مقدراً للبعث.

١٨ - يوم ينفخ فى الصور للبعث، فتأتون إلى المحشر جماعات جماعات.

١٩ - وشققت السماء من كل جانب فصارت أبواباً.

٢٠ - وسيرت الجبال بعد قلعها من مقارها وتفتتها، فصارت تريك صورة الجبال وهى غبار متكاثف، كالسراب يريك صورة الماء وليس بماء.

٢١ - إن جهنم كانت موضع رصد يترقب منه الخزنة أهلها.

٢٢ - للمتعدين حدود الله - مرجعاً ونزلاً.

٢٣ - ماكثين فيها دهوراً متتابعة.

٢٤ - لا يذوقون فيها نسيما ينفس عنهم حرها، ولا شراباً يسكن عطشهم فيها.

٢٥ - لكن يذوقون ماء بالغاً الغاية فى الحرارة، وصديداً يسيل من جلود أهلها.

٢٦ - جزاء موافقاً لأعمالهم السيئة.

٢٧ - إنهم كانوا لا يتوقعون الحساب، فيعملوا للنجاة منه.

٢٨ - وكذبوا بآيات الله الدالة على البعث تكذيباً شديداً.

٢٩ - وكل شيء ضبطناه كتابة .

٣٠ - فذوقوا ، فلن يكون لكم منا إلا مزيد من عذاب شديد .

٣١ - إن للذين يتقون ربهم نجاة من العذاب وظفراً بالجنة .

٣٢ - حدائق مثمرة وأعناباً طيبة .

٣٣ - وعذارى نواهد متماثلات فى السن .

٣٤ - وكأساً ممتلئة صافية .

٣٥ - لا يسمعون فى الجنة لغواً من القول ولا كذباً .

٣٦ - جزاء عظيماً من ربك ، تفضلاً منه وإحساناً كافياً .

٣٧ - رب السموات والأرض وما بينهما ، الذى وسعت رحمته كل شيء ، لا يملك أحد حق مخاطبته .

٣٨ - يوم يقوم جبريل والملائكة مصطفين خاشعين ، لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن له الرحمن بالكلام . ونطق بالصواب .

٣٩ - ذلك اليوم الذى لا شك فيه ، فمن شاء اتخذ إلى ربه مرجعاً كريماً بالإيمان والعمل الصالح .

٤٠ - إنا حذرناكم عذاباً قريباً وقوعه ، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه من عمل ، ويقول الكافر متمنياً الخلاص : يا ليتنى بقيت تراباً بعد الموت ، فلم أُبْعَثْ ولم أُحَاسَب(٢٤)

---

(٢٤) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم / ٧٧٧-٨٨٠ . انظر هامش رقم (٧) سابقا . وانظر أيضاً تفسير سورة النبأ لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى. دار المسلم. القاهرة ١٩٨٠ .

ثانيـــاً :

معانى ألفـاظ سـورة النبـأ :

وردت فى كتاب «كلمات القرآن تفسير وبيان» لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف على النحو التالى :

الآية	الكلمـــة	التفســـــير
		(٧٨) سورة النبـا - مكية (آياتها ٤٠)
١	عَمَّ؟	عَنْ أيِّ شَيْءٍ عَظيم الشَّأن؟
٢	عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيم	عن القرآن أو الْبَعْث
٤	كلاَّ	رَدْعٌ وزَجرٌ عَن الاختلاف فيه
٦	الأرْضَ مِهَاداً	فِرَاشاً مُوَطَّأً للاسْتقْرَار عَليها
٧	الْجبَالَ أوْتَاداً	كالأوْتَاد للأرْض لِئَلاَّ تَميدَ
٨	خَلَقْنَاكُمْ أزْوَاجاً	أَصْنَافاً ذُكوراً وإنَاثاً للتَّنَاسُل
٩	نَوْمَكُمْ سُبَاتاً	قَطْعاً لأَعْمَالكمْ ورَاحَةً لأبْدَانكُمْ
١٠	اللَّيْلَ لِبَاساً	سَاتراً لكُمْ بظُلْمته كَاللِّبَاسِ
١١	النَّهَارَ مَعَاشاً	تُحصِّلُونَ فيه مَا تَعيشُونَ به
١٢	سَبْعاً شدَاداً	سَموَات قَويَّات مُحْكمَات
١٣	سرَاجًا وَهَّاجاً	مِصْبَاحاً منيراً وَقَّاداً (الشَّمْس)
١٤	الْمُعْصِرَات	السَّحَائب الَّتى حانَ لها أنْ تُمطِرَ
١٤	مَاءً ثَجَّاجاً	مُنْصَبًّا بكَثْرَةٍ مَعَ التَّتَابُع
١٦	جَنَّات أَلْفَافاً	بَسَاتينَ مُلْتَفَّةَ الأشْجَارِ

الآية	الكلمـــة	التفســــير
١٨	فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً	أُمماً أَوْ جماعاتٍ مخْتلفةَ الأحْوال
١٩	فَكانَتْ أَبْوَاباً	صارَتْ ذاتَ أَبْوَابٍ وطُرُقٍ
٢٠	فَكانَتْ سَرَابًا	كَالسَّرَاب الَّذى لا حَقيقةَ لهُ
٢١	كَانَتْ مرْصاداً	مَوْضعَ ترَصُّدٍ وتَرَقُّبٍ للْكافرين
٢٢	للطَّاغينَ مَآبًا	مَرْجعاً ومَأوَى لهُمْ
٢٣	أَحْقَابًا	دُهُوراً مُتتَابعَةً لاَ نهَاية لهَا
٢٤	بَرْداً	نوْمًا أو رَوْحاً منْ حَرِّ النَّارِ
٢٥	حَميماً	ماءً بالغاً نهايةَ الْحَرَارَة
٢٥	غَسَّاقاً	صَديداً يَسيلُ منْ جلُودهمْ
٢٦	جَزَاءً وِفاقاً	جَزَيْنَاهُمْ جزاءً موافقاً لأعْمالهم
٢٨	كذَّابًا	تكْذيبًا شَديداً
٢٩	أَحْصَيْنَاهُ كتَاباً	حَفظْنَاهُ وَضبَطْنَاهُ مكْتُوباً
٣١	مَفَازاً	فَوْزاً وَظفراً بكلِّ مَحْبُوبٍ
٣٣	كَوَاعبَ	فَتيَاتٍ نَاهدَاتٍ (نسَاءَ الجَنَّة)
٣٣	أَتْرَابًا	مُسْتَويَاتٍ فى السِّنِّ
٣٤	كَأسًا دهَاقًا	مُتْرَعَةً مليئةً من خَمْر الْجنَّة
٣٥	لَغْوًا	كَلامًا غيْرَ مُعْتَدٍّ به. أَوْ قَبيحًا
٣٥	كذَّابًا	تكْذيبًا
٣٦	عَطَاءً حسَابًا	إحْسَانًا كَافيًا أَو كَثيرا

الآية	الكلمة	التفسير
٣٧	خِطَابًا	إلاَّ بإذْنه
٣٨	الرُّوحُ	جبريلُ عليه السَّلام
٣٩	مَآبًا	مَرْجعاً بالإيمَان وَالطَّاعة
٤٠	كُنْتُ تُرَابًا	في هذا اليوْم فَلا أُعذَّبُ[٢٥]

(ز) القــارعة:

أوردها الإمام الفيروزابادى تحت البصيرة رقم (١٠١) من بصائره وقال عنها:

السورة مكية. آياتها إحدى عشرة في عدّ الكوفة، وعشرة في الحجاز، وثمان في البصرة، والشام. وكلماتها ست وثلاثون. وحروفها مائة وخمسون. فواصل آياتها (ششه).

سمّيت بالقارعة، لمفتتحها.

معظم مقصود السورة:

بيان هيبة العرصات (يريد ساحات القيامة ومواقفها)، وتأثيرها في الجمادات والحيوانات، وذكر وزن الحسنات والسيئات، وشرح عيش أهل الدرجات وبيان حال أصحاب الدّركات في قوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[٢٦]

---

(٢٥) كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٤٠١-٤٠٣ . انظر هامش رقم (٨) سابقاً.

(٢٦) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ١ / ٥٣٩ . انظر هامش رقم (٦) سابقا.

ونسوق فيما يلى بيان سورة القارعة، مشفوعا بتفسير آياتها، وهو ما ورد فى «المنتخب» ويشتمل على:

١ - المتـــن.

٢ - التفسيـر.

أولاً: المتـــن:



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴾

٢- التفسيـــر:

هذه السورة الكريمة بدأت بالتهويل من شأن القارعة التى تصك أسماع الناس. وذكرت بعض أحوال القارعة الخاصة بالناس وبالجبال. وعنيت بالحديث عمن ثقلت موازينهم برجحان حسناتهم وعمن خفت موازينهم برجحان سيئاتهم.

١ - هى القيامة التى تبدأ بالنفخة الأولى، وتنتهى بفصل القضاء بين الناس.

٢ - أى شىء عجيب هى فى فخامتها وخطرها وفظاعتها ؟ !

٣ - أى شىء أعلمك ما شأن القارعة فى هولها على النفوس ؟ !

٤ - هى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث كثرة وتدافعا يمينا وشمالا ضعيفا ذليلا .

٥ - وتكون الجبال كالصوف الملون المنفوش فى تفرق الأجزاء والتطاير فى الجو هنا وهناك .

٦ ، ٧ - فأما من ثقلت موازينه فرجحت حسناته على سيئاته ، فهو فى عيشة يرضاها صاحبها تطيب نفسه بها .

٨ ، ٩ - وأما من خفت موازينه فرجحت سيئاته على حسناته فمأواه جهنم (عياذا بالله تعالى من جهنم) .

١٠ - وما أعلمك ما الهاوية ؟ !

١١ - نار حامية لا تبلغ أية نار مهما سعرت وألقى فيها من وقود[٢٧]

ثانيـــاً :

معانى ألفاظ سورة القارعة :

وردت فى كتاب « كلمات القرآن تفسير وبيان » لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف على النحو التالى :

(٢٧) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم / ٩٢٤ . انظر هامش رقم (٧) سابقا . وانظر أيضاً : تفسير سورة القارعة والتكاثر لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعرواى . مكتبة القرآن ١٩٧٧ .

الآية	الكلمــــة	التفســــير
١	الْقَارِعَةُ	الْقِيَامةُ تقْرَعُ الْقُلُوبَ بأَهْوَالِها
٤	كالْفَرَاشِ	هُوَ طيْرٌ كالْبَعُوضِ يتَهَافَتُ فِى النَّارِ
٤	المبْثُوث	الْمُتَفرِّق الْمُنْتَشِر
٥	كَالْعِهْنِ	كَالصُّوف المَصْبُوغ بأَلْوَان مُخْتَلفَة
٥	المَنْفُوش	المُفرَّق بالأصَابع وَنحْوِهَا
٦	ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ	رَجَحَتْ مقَادِيرُ حَسَنَاته
٨	خَفَّتَ مَوَازِينُهُ	رَجَحتْ مقَادِيرُ سَيِّئَاته
٩	فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ	فمَأْوَاهُ جهَنَّمُ يَهْوِى فيها
١٠	مَاهِيَهْ	مَا هِيَ - وَالهَاءُ للسَّكْتِ(٢٨)

(ح) سأل سائل (المعارج):

أوردها الإمام الفيروزابادى تحت البصيرة رقم (٧٠) من بصائره وقال عنها: السورة مكية، وآياتها ثلاث وأربعون فى عدّ الشام، وأربع فى عدّ الباقين. كلماتها مائتان وثلاث عشرة. وحروفها سبعمائة وسبع وخمسون. المختلف فيها آية ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (الآية ٤).

فواصل آياتها (جعلناهم) على الميم ﴿مَّعْلُومٌ﴾ (الآية ٢٤)، و﴿الْمَحْرُومِ﴾ (الآية ٢٥)، وعلى الجيم ﴿الْمَعَارِجِ﴾ (الآية ٣)، وعلى اللام ﴿كَالْمُهْلِ﴾ (الآية ٨).

---

(٢٨) كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٤٣٣ . انظر هامش رقم (٨) سابقا.

وللسورة ثلاثة أسماء : الأول سأل ، لمفتتحها ، والثانى الواقع ، لقوله ﴿ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ . الثالث ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ .

مقصود السورة :

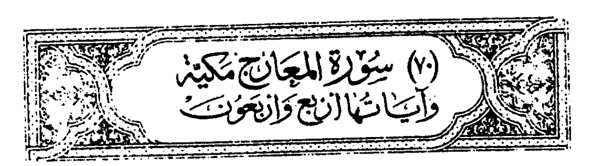
بيان قدرة الكافر على استعجال العذاب ، وطول القيامة وهولها ، وشُغْل الخلائق فى ذلك اليوم المهيب ، واختلاف حال الناس فى الخير والشر ومحافظة المؤمنين على خصال الخير ، وطمع الكفّار فى غير مَطْمَع ، وذُلّ الكافرين فى يوم القيامة فى قوله : ﴿ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾(٢٩)

ونسوق فيما يلى متن سورة المعارج ، مشفوعاً بتفسير آياتها ، وهو ما ورد فى المنتخب ، ويشتمل على :

١ - المتن .

٢ - التفسير .

أولاً : المتن :



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ

---

(٢٩) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ١ / ٤٨٠ . انظر هامش رقم (٦) سابقا .

خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا

﴿ وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) ﴾

٢ - التفسير:

فى هذه السورة الكريمة تهديد بيوم القيامة، وتخويف بطوله وما فيه من أهوال جسام وعذاب لا تقبل فيه فدية بأبناء ولا صاحبة ولا أخ ولا فصيلة، بل لا يقبل فيه فدية بأهل الأرض جميعا.

وفيها نعى على الإنسان ضعفه فى حال الضراء والسراء، إلا من عصمهم الله بالتقوى والعمل الصالح، فإنهم يسلمون من هذا الضعف.

وفيها كذلك إنكار على الكافرين فى أطماعهم الفاسدة. وختامها وصية لرسول الله - ﷺ - بتركهم فى سفههم، ولعبهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون.

١، ٢، ٣ - دعا داع - استعجالا على سبيل الاستهزاء - بعذاب واقع من الله للكافرين لا محالة، ليس لذلك العذاب راد يصرفه عنهم، فوقوعه من الله صاحب السموات التى هى مصدر القهر القائم والحكم النافذ.

٤ - تصعد الملائكة وجبريل إلى مهبط أمره فى يوم كان طوله خمسين ألف سنة من سِنِي الدنيا.

٥، ٦، ٧ - فاصبر - يا محمد - على استهزائهم واستعجالهم بالعذاب صبراً لا جزع فيه ولا شكوى منه. إن الكفار يرون يوم القيامة مستحيلا لا يقع، ونراه هينا فى قدرتنا غير متعذر علينا.

٨، ٩، ١٠ - يوم تكون السماء كالفضة المذابة، وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش، ولا يسأل قريب قريبه كيف حالك، لأن كل واحد منهما مشغول بنفسه.

١١، ١٢، ١٣، ١٤ - يتعارفون بينهم حتى يعرف بعضهم بعضا يقينا، وهو مع ذلك لا يسأله، يود الكافر لو يفدى نفسه من عذاب يوم القيامة ببنيه وزوجته وأخيه وعشيرته التى تضمه وينتمى إليها، ومن فى الأرض جميعا، ثم ينجيه هذا الفداء.

١٥، ١٦، ١٧، ١٨ - ارتدع أيها المجرم عما تتمناه من الافتداء، إن النار لهب خالص، شديدة النزع ليديك ورجليك وسائر أطرافك، تنادى بالاسم من أعرض عن الحق، وترك الطاعة، وجمع المال فوضعه فى خزائنه، ولم يؤد حق الله فيه.

١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ - إن الإنسان طُبِعَ على الهلع، شديد الجزع والسخط إذا مسه المكروه والعسر، شديد المنع والحرمان إذا أصابه الخير واليسر، إلا المصلين الذين هم دائمون على صلاتهم فلا يتركونها فى وقت من الأوقات، فإن الله يعصمهم ويوفقهم إلى الخير.

٢٤، ٢٥ - والذين فى أموالهم حق معين مشروع لمن يسأل المعونة منهم، ولمن يتعفف عن سؤالها.

٢٦، ٢٧، ٢٨ - والذين يصدقون بيوم الجزاء فيتزودون له، والذين هم من عذاب ربهم خائفون فيتقونه ولا يقعون فى أسبابه، إن عذاب ربهم غير مأمون لأحد أن يقع فيه.

٢٩، ٣٠، ٣١ - والذين هم حافظون لفروجهم فلا تغلبهم

شهواتها، لكن على أزواجهم وإمائهم لا يحفظونها، لأنهم غير ملومين فى تركها على طبيعتها، فمن طلب متاعا وراء الزوجات والإماء فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

٣٢، ٣٣، ٣٤ - والذين هم لأمانات الشرع وأمانات العباد وما التزموه لله وللناس حافظون غير خائنين ولا ناقضين، والذين هم بشهاداتهم قائمون بالحق غير كاتمين لما يعلمون، والذين هم على صلاتهم يحافظون فيؤدونها على أكمل الوجه وأفضله.

٣٥ - أصحاب هذه الصفات المحمودة فى جنات مكرمون من الله تعالى.

٣٦، ٣٧، ٣٨ - أى شيء ثبت للذين كفروا إلى جهتك مسرعين ملتفين عن يمينك وشمالك جماعات؟! أيطمع كل امرئ منهم وقد سمع وعد الله ورسوله للمؤمنين بالجنة أن يُدْخَل جنة نعيم؟!

٣٩ - فليرتدعوا عن طمعهم فى دخولهم الجنة، إنا خلقناهم من ماء مهين.

٤٠، ٤١ - فلا أقسم برب المشارق والمغارب من الأيام والكواكب والهدايات، إنا لقادرون على أن نهلكهم ونأتى بمن هم أطوع منهم لله، وما نحن بعاجزين عن هذا التبديل.

(قد يكون المراد بالمشارق والمغارب أقطار ملك الله على سعته التى لا تحد كما أشير فى الآية ١٣٧ من سورة الأعراف: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ للدلالة على أرجاء الأرض المشار إليها.

وقد يكون المراد أيضاً مشارق الشمس والقمر وكافة النجوم والكواكب ومغاربها جميعا للدلالة أيضا على ملك الله كله. وترجع ظاهرة شروق الأجرام السماوية وغروبها إلى دوران الأرض حول محورها من الغرب نحو الشرق ومن ثم تبدو لنا تلك الأجرام متحركة فى قبة السماء على عكس ذلك الاتجاه مشرقة على الأفق الشرقى وغاربة من الأفق الغربى، أو على الأقل دائرة من الشرق إلى الغرب حول النجم القطبى - فى نصف الكرة الشمالى مثلا- وإذا كان البعد القطبى للنجم أصغر من عرض مكان الراصد فالنجم لا يشرق ولا يغرب بل يرسم دائرة صغيرة وهمية حول القطب الشمالى، وبذلك تشير الآية كذلك إلى ساعات الليل - راجع قوله تعالى : ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾. وظاهرة الشروق والغروب إشارة إذن إلى دوران كرة الأرض، هى نعمة كبرى من نعم الله على أحياء هذا الكوكب. فلولا دوران الأرض حول محورها لتعرض نصفها لضوء الشمس مدة نصف سنة وحرم من الضوء تماما النصف الآخر، وهذا ما لا تستقيم معه الحياة كما نعهدها.

وإذا اقتصرنا عند ذكر المشارق والمغارب على تدبير الشمس وحدها دون سائر النجوم والكواكب. كانت هذه إشارة إلى التعدد اللانهائى لمشارق الأرض ومغاربها يوما بعد يوم فى كل موضع على سطح الأرض، أو حتى فى لحظة من لحظات الزمان تمر على الكرة الأرضية، فالشمس فى كل لحظة غاربة عند نقطة ومشرقة فى نقطة أخرى تقابلها. وهذا من محكم تدبير الله وإعجاز قدرته. (انظر أيضا التعليق العلمى على الآية ٥ من سورة الصافات والآية ١٧ من سورة الرحمن).

٤٢ - فاتركهم يخوضوا فى باطلهم، ويلعبوا بدنياهم، حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون فيه العذاب.

٤٣، ٤٤ - يوم يخرجون من القبور سراعا إلى الداعى، كأنهم إلى ما كانوا قد نصبوه وعبدوه فى الدنيا من دون الله يسرعون، ذليلة أبصارهم، لا يستطيعون رفعها، تغشاهم الحقارة والمهانة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون به فى الدنيا وهم يكذبون.(٣٠)

ثانيـاً:

معانى ألفاظ سورة المعارج:

وردت فى كتاب «كلمات القرآن تفسير وبيان» لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف على النحو التالى :

الآية	الكلمة	التفسير
(٧٠) سورة المعارج - مكية (آياتها ٤٤)		
١	سَأَلَ سَائِلٌ	دَعَا دَاعٍ عَلَى نَفْسِه وقَوْمِه
٣	ذى المَعَارِج	ذى السَّموَات مَصَاعِد المَلاَئكة
٤	تَعْرُجُ المَلاَئكةُ	تَصْعَدُ فى تِلْكَ المعَارِج
٤	الرُّوحُ	جِبْرِيلُ عَلَيْه السلامُ
٤	فى يومٍ	هو يومُ القيامة
٤	مِقْدَارُهُ	فى حقِّ الكفارِ

(٣٠) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم/ ٨٥٢-٨٥٤. انظر هامش رقم (٧) سابقا.

الآية	الكلمة	التفسير
٥	صَبْراً جَميلاً	لا شَكوى فيه لغيره تعالى
٨	السَّماءُ كالْمُهْلِ	كالمعْدن المُذاب أوْ دُرْدِىٌّ الزيت
٩	الْجِبالُ كَالْعِهْنِ	كالصُّوف المصبوغ أَلْوَانًا
١٠	حَميمٌ	قَرِيبٌ مُشْفِقٌ لشدَّة الهَوْل
١١	يُبَصَّرُونَهُمْ	يُعرَّفُ الأحْمَاءُ أحْمَاءَهُمْ
١٣	فَصيلَته	عَشيرَته الأقْرَبينَ المنفصل عنهم
١٣	تُؤْويه	تَضُمُّهُ فى النَّسَب أوْ عند الشِّدة
١٥	إنَّهَا لَظَى	جَهَنَّم. أوْ الدركَة الثانية منْهَا
١٦	نَزَّاعَةً للشَّوَى	قلاَّعَةً للأَطْرَاف أَوْ جلْد الرَّأس
١٨	فَأَوْعى	أَمْسَكَ مَالَهُ فى وِعَاءٍ حِرْصاً وَتَأْميلاً
١٩	هَلوعاً	كثيرَ الْجزَعِ، شَديدَ الْحِرْصِ
٢٠	جَزُوعاً	كثيرَ الْجزَعِ وَالأَسَى
٢١	مَنُوعاً	كثيرَ المَنْعِ وَالإمْسَاك
٢٥	المَحْرُوم	منَ الْعطَاء لتَعَفُّفه عَن السُّؤَال
٢٧	مُشْفقُونَ	خَائفونَ اسْتعْظَاماً لله تَعَالى
٣١	الْعَادُونَ	المُجَاوِزُونَ الْحلاَلَ إلَى الحرام
٣٦	مُهْطِعينَ	مُسْرعينَ، مَادِّى أَعْنَاقهمْ إلَيك
٣٧	عِزينَ	جَمَاعَات مُتَفَرِّقينَ
٣٩	ممَّا يَعْلَمُونَ	منْ نُطَف مَهينَة مَذِرَة

الآية	الكلمة	التفسير
٤٠	فَلاَ أُقْسِمُ	أُقْسِمُ. و«لا» مزيدة
٤١	بِمَسْبُوقِينَ	مغلوبينَ عاجزينَ
٤٢	فَذَرْهُمْ	فَدَعْهُمْ وَخلّهِمْ غير مُكْترِثٍ بِهم
٤٢	يَخُوضُوا	يَنْغَمِسُوا في بَاطلِهِمْ
٤٣	مِنَ الأَجْدَاثِ	مِنَ الْقُبُورِ
٤٣	سِراعاً	مُسْرِعِينَ إلى الدّاعى
٤٣	نُصُبٍ	أَحْجارٍ عَظَّمُوهَا في الجاهِليَّة
٤٣	يُوفِضُونَ	يُسْرِعُونَ
٤٤	خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ	ذَليلةً مُنْكَسِرةً لا يرْفَعُونَها
٤٤	تَرْهَقُهُمْ ذِلّةٌ	تَغْشَاهُمْ مَهَانَةٌ شَدِيدَةٌ(٣١)

ثالثـاً:

ما أورده فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت عن سورة المعارج فى كتابه «من هدى القرآن» مما يعدّ إضافة لما ورد فى «المنتخب» قال رحمه الله تحت عنوان «سورة المعراج»:

كان من أساليب الدعوة إلى التوحيد والبعث، الإنذار المتكرر للمكذبين بعذاب يوم القيامة، وكثيرا ما طوقهم القرآن - على نحو

(٣١) كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٣٨٢-٣٨٤ . انظر هامش رقم (٨) سابقا.

ما رأينا فى السورة السابقة «الحاقة ما الحاقة» - بأنباء العذاب الأخروى والمحاكمة أمام القضاء الإلهى.

عذاب ليس له دافع:

وكان القوم يقابلون هذا الإنذار بالإنكار والاستهزاء والسخرية، ولقد وصل بهم الأمر فى ذلك إلى حد أن استعجلوا العذاب، وإلى حد أن قال قائلهم «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم».

وقد جاءت سورة المعارج بعد أن حققت سورة الحاقة أنباء البعث والقيامة تكشف عن ضعف عقلية القوم إذ كانوا يطلبون وقوع العذاب الذى به يوعَدون، بدل أن يطلبوا التوفيق إلى الإيمان فيكون إيمانهم وقاية لهم من ذلك العذاب، وتؤكد لهم أن العذاب واقع بهم ليس من شك، وليس لهم من ينجيهم منه، وليس له من دافع يدفعه عنه، فمشيئة الله نافذة فيهم، وعذابه لاحق بهم، وترشدهم إلى أن طول الأمد الذى لم يظهر فيه شيء منه، إنما هو طول نسبى فى أنظارهم فقط. أما فى واقعه وفى تدبير الله. فهو يوم واحد، هو يوم الدنيا، ومرحلة واحدة، هى مرحلة التدبير لشئون الدنيا، ذلكم التدبير الذى اقتضت حكمة الله أن يكون بواسطة جند يترددون بينه وبين خلقه على معارج ومصاعد فى يوم كان مقداره فى أيامكم خمسين ألف سنة. وما هى ألا أن تمضى مرحلة التدبير، ومرحلة التكليف، وتأتى مرحلة الحساب وتحديد المسئوليات، واذن فلا تكترث يا محمد بموقفهم منك واصبر صبرا جميلا.

العـــروج:

وقد عبرت الآية عن مرحلة التدبير بعروج الملائكة والروح إلى الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وما علينا إلا أن نؤمن بما تدل عليه الآية من قصر أمد الدنيا في نظام الله. وليس علينا أن نكلف أنفسنا عناء البحث عن حقيقة شيء استأثر الله بعلمه.

ويلتقي هذا التصوير مع مثله في آية أخرى ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾.

وفي آية ثالثة ﴿ **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾.

فهـم واجتهـاد:

والقصد من كل ذلك أن وقع العذاب الذي يسألونه يعقب ذلك اليوم الذي يتردد فيه الملائكة بين الخالق والخلائق، وهو البقية من يوم النشأة الأولى. وقد جاء على لسان الرسول «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار إلى السبابة والوسطى، واختلاف العدد يدل على مجرد الكثرة والمبالغة في وصف الدنيا بالطول بالنسبة إليهم لا بالنسبة لنظام الله وأيامه وقد أفصحت السورة عن هذا المعنى ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا** ﴾.

من علامـات القيـامة:

ثم أخذت السورة تذكر علامات القيامة: في السماء وأنها ستكون كالمهل «مائع الزيت»: وفي الجبال وأنها ستكون كالعهن المنفوش

«الصوف المنفوش» : وفى الإنسان وأنه سيتلهى فيه كل امرؤ بنفسه : ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ . ثم تترقى فى وصف هول ذلك اليوم بأن المجرم يتمنى فيه لو يفتدى من عذابه بأقرب الناس إليه وأحبهم عنده ثم تقطع عليه أمل الفداء ، وتصور لحوق العذاب به بطمع النار فيه : ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ⑮ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ⑯ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ⑰ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ .

ثم تشير الآيات إلى الإنسان فى إنكار الحق ومحبته الجمع والادخار إذا لم يعتصم بهداية الله ، وأن منشأ ذلك فيه غلبة الهوى عليه ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ⑲ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ⑳ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ .

ثم تذكر أن علاج ذلك الشأن إنما هو فى القيام بحق الله وحق الفقير السائل والمحروم ، وفى التصديق بيوم الدين ، وفى الخوف من عذاب الله وفى حفظ الأعراض والأمانات ، وفى أداء الشهادات والمحافظة على الصلوات . وأنه بتلك الخلال الفاضلة تتحقق عناصر الشخصية الناجية التى يكون أهلها : ﴿فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ . ولو أن هؤلاء سلكوا هذا السبيل لكان مصيرهم إلى النعيم ، ولكنهم رفضوا أن يطهروا قلوبهم وأخذوا يسخرون بالحق ، ويفترون على الله ، يزعمون لأنفسهم استحقاق الجنة ، بل أحقيتهم بها : ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ㊳ كَلَّا﴾ .

ثم تختم السورة بتوعدهم ، وتوجيه النبى إلى عدم الاكتراث بهم : ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ . وعندئذ

يكشف لهم عن ساق، وأنهم كانوا على باطل، ثم تصف خروجهم من القبور فى ذلك اليوم، مسرعين ملبين دعوة البعث، مقهورين غير مختارين وتذكرهم فى حالتهم هذه بحالتهم فى دنياهم حينما كانوا يخرجون من بيوتهم متسابقين إلى أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٣٢]

٢ - الخاتمة:

والآن وقد أتممنا طوافنا بالسور الثمانى التى ذكر الرسول ﷺ فى حديثه المتعدد الأوجه «شيبتنى هود وأخواتها» أنها هى المسئولة عن شيبه قبل الأوان، نختتم بحثنا هذا بما أحصاه ابن الوردى فى كتابه «خريدة العجائب» عن أحوال القيامة، ثم نتبعه بقصيدته المسماة «قلادة الدر المنثور فى ذكر البعث والنشور» لكى تكون مسك الختام إن شاء الله تعالى، والله ولى التوفيق:

قال ابن الوردى رحمه الله تحت عنوان «ذكر أسماء يوم القيامة» :

هو يوم تعددت أساميه لكثرة معانيه: يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم المسابقة يوم المناقشة يوم المنافسة يوم المحاسبة يوم المسائلة يوم الزلزلة يوم الندامة يوم الدمدمة يوم الآزفة يوم الراجعة يوم الرادفة يوم الصاعقة يوم الواقعة يوم الداهية يوم الحاقة يوم الطامة يوم الصاخة يوم الغاشية يوم القارعة يوم النفخة يوم الصيحة يوم الرجفة يوم الرجة

---

(٣٢) من هدى القرآن للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت / ١٥٠-١٥٢ . انظر هامش رقم (٩) سابقاً.

يوم الزجرة يوم السكرة يوم البقاء يوم اللقاء يوم البكاء يوم القضاء يوم الجزاء يوم المآب يوم المشاب يوم الثواب يوم الحساب يوم العذاب يوم العقاب يوم المرصاد يوم الميعاد يوم التناد يوم الانكدار يوم الانفطار يوم الانتشار يوم الانفجار يوم الافتقار يوم الاعتبار يوم الحشر يوم النشر يوم الجزع يوم الفزع يوم السباق يوم التلاق يوم الفراق يوم الانشقاق يوم الفلق يوم الفرق يوم الغرق يوم العرق يوم اليقين يوم الدين ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فكيف يا ابن آدم المغرور إذا نفخ فى الصور وبعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور وكورت الشمس وكسف القمر وانتشرت النجوم وعطلت البحار وحشرت الوحوش وزوجت النفوس وسيرت الجبال وعظمت الأهوال وحشروا حفاة ووقفوا عراة ومدت لهم الأرض وجمعوا فيها للعرض من الهول حيارى ومن الشدة سكارى قد أظلهم الكرب وأجهدهم عن العطش واشتد بهم الحر وعم الخوف وجل العناء وكثر البكاء وفنيت الدموع ولازموا الخضوع وعمهم القلق وعمهم العرق وطاشت العقول وشمل الذهول وتبلبلت الصدور وعظمت الأمور وتحيرت الألباب وتقطعت الأسباب ورأوا العذاب وركبهم الذل وخضعت رقاب الكل وزلزلت الأقدام وتبلدت الأفهام وطال القيام وانقطع الكلام ولا شمس تضىء ولا قمر يسرى ولا كوكب درى ولا فلك يجرى ولا أرض تقل ولا سماء تظل ولا ليل ولا نهار ولا بحار ولا قفار. ياله من يوم تفاقم أمره وتعاظم ضره وعظم خطره يوم تشخص فيه الأبصار بين يدى الملك الجبار ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ قد خشعت لهوله الأصوات وقل فيه الالتفات وبرزت الخفيات وظهرت الخطيات وأحاطت البليات وسيق العباد ومعهم الأشهاد وتقلصت الشفاة وتقطعت الأكباد وشاب الصغير

وسكر الكبير ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وتقطعت الجوارح وارتعدت الجوانح وانفضحت الفضائح وأزلفت الجنان وسعرت النيران ويؤمر بعد الخطب الجسيم والهول العظيم للمقعد المقيم ما بدار النعيم والرضوان وإما بدار الجحيم والنيران (ص ٢٧٠، ٢٧١).

ثم يسوق ابن الوردى بعد ذلك قصيدة جامعة لغالب ما تقدم من أحوال يوم القيامة واسمها :

«قلادة الدر المنثور فى ذكر البعث والنشور» وهذا نصّها :

الله أعظم مما جال فى الفكر وحكمه فى البرايا حكم مقتدر
مولى عظيم حكيم واحد صمد حى قديم مريد فاطر الفطر
يا رب. يا سامع الأصوات صَلِّ على رسولك المجتبَى من أطهر البشر
محمد المصطفى الهادى البشير هدى كل الخلائق بالآيات والسور
وآله. والصحاب الكائنين به كأنجم حول من يسمو على القمر
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها فتور عزمى وما فرّطت فى عمرى
وفرط ميلى إلى الدنيا وقد حسرت عن ساعد الغدر فى الآصال والبكر
يا ربنا جُدْ بتوفيق ومغفرة وحسن عاقبة فى الورد والصدر
قد أصبح الخلق فى خوف وفى ذعر وزور ولهو وهم فى أعظم الخطر
وللقيامة أشراط وقد ظهرت بعض العلامات والباقى على الأثر
قَلَّ الوفاء فلا عهد ولا ذمم واستحكم الجهل فى البادين والحضر
باعوا لأديانهم بالبخس من سحت وأظهروا الفسق بالعدوان والأشر
وجاهروا بالمعاصى وارتضوا بدعا عمت فصاحبها يمشى بلا حذر
وطالب الحق بين الناس مستتر وصاحب الإفك فيهم غير مستتر
والوزن بالويل والأهواء معتبر والوزن بالحق فيهم غير معتبر

وقد بدا النقص فى الإسلام مشتهرا ... وبدلت صفوة الخيرات بالكدر

وسوف يخرج دجال الضلالة فى ... هرج وقحط كما قد جاء فى الخبر

ويدّعى أنه رب العباد وهل ... تخفى صفات كذوب ظاهر العور

فتارة جنة طوبى لداخلها ... وزور جنته نار من السعر

شهر وعشر ليال طول مدته ... لكنها عجب فى الطول والقصر

فيبعث الله عيسى ناصرا حكما ... عدلا يعضده بالنصر والظفر

فيتبع الكاذب الباغى ويقتله ... ويمحق الله أهل البغى والضرر

وقام عيسى يقيم الحق متبعا ... شريعة المصطفى المختار من مضر

فى أربعين من الأعوام متسعا ... فيكسب المال فيها كل مفتقر

وجيش ياجوج مع ماجوج قد خرجوا ... والبغى عم بسيل غير منهمر

حتى إذا أنفد الله القضاء دعا ... عيسى فأفناهم المولى على قدر

وعاد للناس عيد الخير مكتملا ... حتى يتم لعيسى آخر العمر

والشمس حين تُرَى فى الغرب طالعة ... طلوعها آية من أعظم الكبر

فعند ذلك لا إيمان يقبل من ... أهل الجحود ولا عذر لمعتذر

ودابة فى وجوه المؤمنين لها ... وسم من النور والكفار بالقتر

والخلف هل فتنة الدجال قبلهما ... أو بعد قد ورد القولان فى الخبر

وكم خراب وكم خسف وزلزلة ... وفيح ثار وآيات من النذر

ونفخة تذهب الأرواح شدتها ... إلا الذين عنوا فى سورة الزمر

وأربعون من الأعوام قد حسبت ... نفخا تبث به الأرواح فى الصور

قاموا حفاة عراة مثل ما خلقوا ... من هول ما عاينوا سكرى بلا سكر

قوم مشاة وركبان على نجب ... عليهمو حلل أبهى من الزهر

ويُسحب الظالمون الكافرون على ... وجوههم وتحيط النار بالشرر

والشمس قد أدنيت والناس فى عرق — وفى زحام وفى كرب وفى حصر
والأرض قد بدلت بيضاء ليس لها — خفض ولا ملجأ يبدو لمستتر
طال الوقوف فجاءوا آدما ورجوا — شفاعة من أبيهم أول البشر
فرد ذاك إلى نوح فردهم — إلى الخليل فأبدى وصف مفتقر
إلى الكليم إلى عيسى فردهم — إلى الحبيب فلباها بلا حصر
فيسأل المصطفى فصل القضاء لهم — ليستريحوا من الأهوال والخدر
تطوى السموات والأملاك هابطة — حول العباد لهول معضل عسر
والشمس قد كُوِّرَتْ والكتب قد نشرت — والأنجم انكدرت ناهيك من كدر
وقد تجلّى إله العرش مقتدراً — سبحانه جلَّ عن كيف وعن فكر
فيأخذ الحق للمظلوم منتصفًا — من ظالم جار فى العدوان والبطر
والوزن بالقسط والأعمال قد ظهرت — ووزنها عبرة تبدو لمعتبر
وكل من عبد الأوثان يتبعها — بإذن ربى وصار الكل فى سقر
والمسلمون إلى الميزان قد قسموا — ثلاثة فاسمعوا تقسيم مختصر
فسابق رجحت ميزان طاعته — له الخلود بلا خوف ولا ذعر
ومذنب كثرت آثامه فله — شفع بأوزاره أو عفو مفتقر
وواحد قد تساوت حالتاه له الـ — أعراف حبس وبين البشر والحصر
ويكرم الله مثواه بجنته — بجود فضل عميم غير منحصر
وفى الطريق صراط مد فوق لظى — كحد سيف سطا فى دقة الشعر
والناس فى ورود شتى فمستبق — كالبرق والطير أو كالخيل فى النظر
ساع وماش ومخدوش ومعتلق — وناج وكم ساقط فى النار منتشر
للمؤمنين ورود بعده صدر — والكفارون لهم ورد بلا صدر
فيشفع المصطفى والأنبياء ومن — يختاره الملك الرحمن فى زمر

فى كل عـاص له نفس مـقـصـرة   وقلبـه عن سوى الرب العظيم برى

فـأول الشـفـعـا حـقـاً وآخـرهم   مـحـمـد ذو البـهـاء الطيب العطر

مـــقـــامـــه ذو الكرسى ثم له   عـقـد اللواء بعـز غـيـر منحـصـر

والحـوض يشـرب منه المؤمنون غـدا   كالأرى يجرى على الياقوت والدرر

ويخلق الله أقـوامـا قـد احـتـرقـوا   كـانوا أولى العـزة الشنعـاء والنجـر

والنار مـثـوى لأهل الكفـر كلهم   طبـاقـهـا سـبـعـة مـسـودة الحـفـر

جـــهنم ولظى والحطم بينهـــمـــا   ثم السـعـير كـمـا الأهوال فى سقـر

وتحت ذاك جـــحـــيـم ثم هـاوية   يهـوى بهـا أبداً سـحـقـا لمحـتـقـر

فى كل بـاب عـقـوبات مـضـاعـفـة   وكـل واحـــدة تسطو على النفـــر

فـيـهـا غـلاظ شـداد من مـلائكة   قلوبهـم شـدة أقـوى من الحـجـر

لهـم مـقـامع للتـعـذيب مـرصـدة   وكـل كـسـر لدنهـم غـيـر منجـبـر

سـوداء مظلمـة شـعـثـاء موحـشـة   دهمـاء مـخـرقـة لوّاحـة البـشـر

فيهـا الجحيم مذيب للوجوه مع الـ   أمـعـاء من شـدة الإحـراق والشـرر

فيها الغساق الشديد البرد يقطعهم   إذا اسـتـغـاثوا بحـر ثم مـسـتـعـر

فيـها السلاسل والأغلال تجمعهم   مع الشـيـاطين قـسرا جـمع منقـهـر

فيـها العقارب والحيات قد جعلت   جلودهـم كـالبـغـال الدهـم والحـمـر

والجـوع والعطش المضنى ولا نفس   فـيـهـا ولا جَلَد فـيـهـا لمصطبـر

لهـا إذا مـا غلت فـور يقلبـهـم   مـا بين مـرتفـع منهـا ومنحـدر

جمع النواصى مع الأقدام ضيرهم   كـالقـوس مـحنيـة من شـدة الوتر

لهم طعـام من الزقـوم يعلق فى   حلوقـهم شوكـه كالصاب والصبر

يا ويلهم عضت النيـران أعظمـهم   بالموت شـهوتهم من شدة الضجر

ضجوا وصاحوا زمانا ليس ينفعهم   دعـاء داع ولا تسليم مـصـطبـر

وكل يوم لهم في طول مدتهم ... نوع شديد من التعذيب والسعر
كما بين دار هوان لا انقضاء لها ... ودار أمن وخلد دائم الدهر
دار الذين اتقوا مولاهم وسعوا ... قصداً لنيل رضاه سعى مؤتمر
وآمنوا واستقاموا مثل ما أُمروا ... واستغرقوا وقتهم في الصوم والسهر
وجاهدوا وانتهوا عما يباعدهم ... عن بابه واستلانوا كل ذى وعر
جنات عدن لهم ما يشتهون بها ... في مقعد الصدق بين الروض والزهر
بناؤها فضة قد زانها ذهب ... وعينها المسك والحصبا من الدرر
أوراقها ذهب مها الغصون دنت ... بكل نوع من الريحان والثمر
أوراقها حلل شفافة خلقت ... واللؤلؤ الرطب والمرجان في الشجر
دار النعيم وجنات الخلود لهم ... دار السلام لهم مأمونة الغِيَرِ
وجنة الخلد والمأوى وكم جمعت ... جنات عدن لهم من موثق نضر
طباقها درجات عدها مائة ... كل اثنتين كبعد الأرض والقمر
أعلى منازلها الفردوس عاليها ... عرش الإله فسل واطمع ولا تذر
أنهارها عسل ما فيه شائبة ... وخالص اللبن الجاري بلا كدر
وأطيب الخمر والماء الذى سلمت ... من الصداع ونطق اللهو والسكر
والكل تحت جبال المسك منبعها ... يجرونه كيف شاءوا غير محتجر
بها نواهد أبكار مزينة ... يبرزن من حلل في الحسن والخفر
نساؤها المؤمنات الصابرات على ... حفظ العهود مع الإملاق والضرر
كأنهن بدور في غصون نقا ... على كثيب بدت في ظلمة السحر
كل امرئ منهم يعطى قوى مائة ... في الأكل والشرب والإفضا بلا خور
طعامهم رشح مسك كلما عرقوا ... عادت بطونهم في هضم منضمر
لا جوع لا برد لا همّ ولا نصب ... بل عيشهم عن جميع النائبات عرِى

فيها الوصائف والغلمان تخدمهم ... كلؤلؤ في كمال الحسن منتشر
فيها غناء الجوارى الغانيات لهم ... بأحسن الذكر للمولى مع السكر
لباسهم سندس حلاتهم ذهب ... ولؤلؤ ونعيم غير منحصر
والذكر كالنفس الجارى بلا تعب ... ونزهوا عن كلام اللغو والهذر
وأُكُلها دائم ولا شيء منقطع ... كرر أحاديثها بأطيب الخبر
فيها من الخير ما لم يجر في خلد ... ولم يكن مدركا للسمع والبصر
فيها رضا الملك المولى بلا غضب ... سبحانه ولهم نفع بلا غِيَرِ
لهم من الله شيء لا نظير له ... سماع تسليمه والفوز بالنظر
بغير كيف ولا حد ولا مثل ... حقا كما جاء في القرآن والخبر
وهى الزيادة والحسنى التى وردت ... وأعظم والموعد المذكور في الزُّبُرِ
لله قوم أطاعوه وما قصدوا ... سواه إذا نظروا الأكوان بالعبر
وكابدوا الشوق والأنكاد قوتهم ... ولازموا الجد والأذكار في البكر
يا مالك الملك جُد لى بالرضا كرماً ... فأنت لى محسن في سائر العمر
يارب صلِّ على الهادى البشير لنا ... وآله وانتصر يا خير منتصر
ما هب نشر صبا واهتز نبت ربا ... وفاح طيب شذا في نسمة السحر
أبياتها تسع عشر بعدها مائة ... كلامها وعظة أبهى من الدرر[٣٣]

تم الكتاب بعون الله تعالى. وكان الفراغ منه يوم الخميس ٢٥ صفر ١٤٢٨هـ الموافق ١٥ مارس ٢٠٠٧ م.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

---

(٣٣) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تأليف سراج الدين أبى حفص عمر بن الوردى. مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون. الطبعة الأخيرة د. ت / ٢٧٠-٢٧٧.

المراجـــع

١ - جامع الترمذى للإمام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذى. بإشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ. دار السلام للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى محرم ١٤٢٠ هـ - أبريل ١٩٩٩م .

٢ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبى بكر أحمد ابن الحسين البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) - بتحقيق السيد أحمد صقر. الجمهورية العربية المتحدة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء أمهات كتب السُّنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠م .

٣ - الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر. الطبعة الخامسة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

٥ - فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلاّمة المناوى. المكتبة التجارية الكبرى. الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م .

٦ - بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز. تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى - تحقيق الأستاذ محمد على النجار. الجمهورية العربية المتحدة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامى. القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

٧ - المنتخب فى تفسير القرآن الكريم. جمهورية مصر العربية. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة التاسعة عشرة. القاهرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٨ - كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف. دار المعارف بمصر ١٩٧٦م .

٩ - من هدى القرآن للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت. وزارة الثقافة. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٨م .

١٠ - خريدة العجائب وفريدة الغرائب. تأليف سراج الدين أبى حفص عمر بن الوردى. مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون. الطبعة الأخيرة د.ت

١١ - تفسير سورة النبأ. دار المسلم. القاهرة ١٩٨٠ .

١٢ - تفسير سورة التكوير. مكتبة القرآن ١٩٨٠ .

١٣ - تفسير سورتى القارعة والتكاثر. مكتبة القرآن ١٩٧٧ كل منها تأليف فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.